مدخل

مدخل تاريخي:

1) اللهجة: أصل التسمية و نشأتها
2) علم اللهجات
2).1. علاقته بالأنثروبولوجيا
2).2. علاقته بعلم الأصوات

مدخل تاريخي

1) اللهجة: أصل التسمية و نشأتها

من المسلم به أن اللغة العربية من أعرق و أقدم اللغات السامية، التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، و بالنظر إلى الحقبات الزمنية التي رافقت نشأتها نجد أنها كغيرها من اللغات السامية قد اعترتها تطورات و تغيرات أثبتها التاريخ و لم ينكر وجودها، إذ نجد أن أحرف الكلمة الواحدة تتغير من موضع إلى آخر، و نقف نحن حيارى أمام إشكال ولدته هذه التغيرات حيث يتعذر علينا معرفة الأصل أي الكلمة الأم، و ذلك لأن طفولة اللغة العربية لا تزال تكابد غيابات المجهول فما أعوزها إلى التنوير رغم ما قدم من المجهودات المستفيضة من قبل القدامى و المحدثون في سبيل رفع الستار عن أوليات الدرس اللغوي، حيث لا يتعدى عن كونه مخطوط لا أكثر .

تجدر الإشارة إلى أن من التبديلات هذه ما أصبح ضمن الخصائص اللهجية التي تنتمي إلى قبائل بعينها، قبائل يوثق بعربيتها، نزل القرآن بلغتها، فارتقت بذلك إلى مستوى من الفصاحة أهلها للدخول إلى نظم الشعر، و قراءة القرآن، و نقل الحديث.

و اللغة العربية تشترك مع أخواتها الساميات في كثير من الملامح، فإذا نظرنا إلى الموقع الجغرافي الذي انتشرت فيه و الذي تميز بالشساعة و تنوع الأقاليم، ما دفع العرب إلى التوزع في أرجائه مشكلين قبائل متفرقة، و هنا نتج ما يسمى باللهجات، فتنوعت و تعددت بحكم العوامل المناخية و الاقتصادية و الثقافية.[(1)]

و لمزيد من الوضوح يمكن أن نلاحظ هذا في الخريطة[(2)] الممثلة لجزيرة العرب لبيان مواقع القبائل التي اشتهرت لهجاتها.

---

(1) مويلح سليمة: إبدال الأصوات الصامتة

(2) انظر الخريطة المرفقة في الملحق التابع للبحث.

و ما دمنا أيقنا أن اللغة مرتبطة بتطور الإنسان و نموه ككائن حي يخضع لحتمية التطور أو حتمية الزوال من جهة أخرى، فاللهجات العربية منها ما تطور و منها ما اندثر. أما التي تطورت ورثت بعض الخصائص التي تركتها أختها بعدما زالت، " و امتزاج هذه اللهجات و تداخل بعضها في بعض لم يتم مرة واحدة أو في زمن واحد، بل حدث شيئا فشيئا، و سار ينتقل تدريجيا، فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولا ثم يتكون من الاثنين لهجة جديدة، لم تكن موجودة من قبل و هذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أخرى، و هكذا ظل هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة أثناء الجاهلية حتى ظهر الإسلام " **(1)**

" و بمجيء الإسلام و نزول القرآن، ثبتت جدارة هذه اللغة الباقية بأن استطاعت حمل القرآن العظيم بلا عجز و لا وهن، و بأن أحيا القرآن الكريم مفردات كانت قد اندثرت، و بدليل قوله تعالى في الآية 195 من سورة الشعراء: «« بلسان عربي مبين»»(ص) نقول أن القرآن الكريم حوى كل تلك اللهجات " **(2)** و هذا ما أثبته كتاب اللغات في القرآن**(3)** الذي يلقي ضوءا على لغات القبائل قبيل الإسلام، و يسرد ما في كل سورة من ألفاظ القبائل العربية، و ألفاظ الأمم الأخرى كالفرس و الروم و الأنباط و السريان و العبرانيين، كما يحدد نسبة ما أخذ القرآن من ألفاظ كل قبيلة**(4)** من هذه القبائل.
و من ضمن هذه التغيرات و التطورات التي شهدتها اللغة العربية سواء أكان ذلك على مستوى النطق أو على مستوى الكتابة، ما أسماه علماء اللغة و النحو و القرآن بظاهرة الإبدال و هي تعني تلك التباينات التي خلفت اللهجات المختلفة .

(1) ولفنسون (أبو دؤيب) : تنوع اللغات السامية، ط1، دار العلم، 1980، بيروت، لبنان،ص 167.
(2) تمام حسن: اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية، مطبعة الرسالة ص 64.
(3) المنجد صلاح الدين: كتاب اللغات في القرآن ط2 ، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1396ه-1972م.
(4) انظر الجدول و المدرج المرفق في ملحق البحث.

إن دراسة اللهجات العربية الحديثة ما هي إلا امتداد و تواصل للدراسات القديمة التي مهدت الطريق و يسرت تحديد مجالات الدراسة. فلقد أحاطت الدراسات القديمة اللهجات عامة و اللهجات العربية خاصة بجميع المجالات أي أنها مكنتنا من معرفة أسباب ظهور اللهجات بين أفراد الشعب الواحد و أسباب اختلافها، مع اختلاف الموقع الجغرافي و البيئة الاجتماعية و الظروف الاقتصادية و المناخية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، و بفضل هذه المعلومات القيمة يمكن أن نتطرق و لو باختصار لمسار اللهجات العربية منذ نشأتها إلى يومنا هذا، و كيف تسنى للباحث الحديث أن يتطرق إلى دراستها من جميع الجوانب.

قبل أن نتطرق إلى مسيرة اللهجات العربية فمن الضروري أن نعرف أولا ما تعنيه اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث فهي تعتبر " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. ... و بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع و أشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، و لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، و فهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات.

و تلك البيئة الشاملة تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.

فالعلاقة بين اللغة و اللهجة هي علاقة بين العام و الخاص. فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها و جميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، و العادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات " (1)

أما علماء العربية القدماء، فكانوا يعبرون عن اللهجة "باللغة" حينا و "باللحن" حينا آخر حيث يقول أحد أعرابي: " ليس هذا لحني و لا لحن قومي "

و قد ورد في المعاجم العربية القديمة ذكر لغة "تميم" و لغة "هذيل" و لغة "طيء"

---

(1) أنيس ابراهيم: في اللهجات العربية، م.س ص 16.

و لا يريدون بمثل هذا سوى التعبير عن ما نعنيه الآن بكلمة "اللهجة" و كانوا يفرقون بين اللهجة و اللغة بإسناد كلمة "اللسان" للغة وهي كلمة مشتركة اللفظ و المعنى في معظم اللغات السامية شقيقة اللغة العربية.

و يعيد الدكتور إبراهيم أنيس[1] أسباب ظهور اللهجات إلى عاملين أساسيين:

العامل الأول و هو الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، فحين تتسع رقعة لغة من اللغات، و يفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، فهو من الممكن جدا أن تتشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة، و يتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة و زيادة على هذا الانعزال فهناك انعزال اجتماعي و اختلاف في الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة، فتختلف ظروف أبناء البيئات الزراعية على ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية، و مثل ذلك تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

فالصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الأصوات و طبيعتها، و كيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة و أخرى هو بعض الاختلاف الصوتي قي غالب الأحيان، كما أن الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعا من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفة من الحرف أو بين اللصوص و طريدي القانون أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي.

أما العامل الثاني فهو الصراع اللغوي الذي ينشب عن غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية و المغزوة و تكون النتيجة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية و المغزوة. و قد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي فقد غزى العرب جهات كثيرة متعددة اللغات و استطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها، و أن تحل محلها.

فقد تغلبت على الآرامية في العراق و الشام، و على القبطية في مصر، و البربرية في بلاد المغرب، و الفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة.

---

[1] المرجع نفسه: من ص 17 إلى ص 22.

و يرى ابن خلدون في مقدمته أن لغات الأمصار الإسلامية كانت كلها بالمشرق و المغرب لهذا العهد عربية، و إن كان اللسان العربي قد فسدت ملكته و تغير إعرابه، و السبب ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، و الدين و الملة صورة للوجود و للملك. فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، و كان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، صار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام و طاعة العرب.

ثم فسد لسان العرب بمخالطتها في بعض أحكامه و تغير أواخره و إن كان بقي في الدلالات على أصله، و يسمى لسانا حضريا في جميع أمصار الإسلام.

و اللغات متوارثة، فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء، و إن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئا فشيئا، و سميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر و الأمصار، بخلاف لغة البدو من العرب فإنها كانت أعرق في العروبية.[(1)]

" و من ثم، فالفرق الحقيقي بين لغة العامة و خاصة في البادية، و لغة الخاصة كما هي في المدن، هو أن لغة الريف لغة عربية فصيحة، و حتى حرف القاف الذي يميز أهل الريف عن أهل المدينة، هو العلامة الصحيحة على أن لغة الريف هي لغة مضر، و لعلها لغة الرسول عليه الصلاة و السلام، و أن لغة المدن تعلمها أهلها عن طريق القواعد في حين أن أهل الريف تعلموا لغتهم عن طريق وسطهم الذي ورثوا عنه اللغة وراثة عملية، و هو وسط عربي. "[(2)]

كما أن ابن خلدون يؤكد في مقدمته أنه لما تملك العجم من الديلم و السلجوقية بعدهم بالمشرق و زناتة و البربر بالمغرب، و صار لهم الملك و الاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك، و كاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب و السنة الذين بهما حفظ الدين، و صار ذلك مرجحا لبقاء اللغة المضرية من الشعر و الكلام إلا قليلا بالأمصار عربية.

(1) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 299.
(2) شريط عبد الله: نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 121.

فلما ملك التتر و المغول بالمشرق، و لم يكونوا على دين الإسلام، ذهب ذلك المرجع، و فسدت اللغة العربية على الإطلاق، و لم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية، بالعراق و خرسان، و بلاد فارس، و أرض الهند و السند، و ما وراء النهر، وبلاد الشام، و بلاد الروم، و ذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر و الكلام، إلا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتدارسة من علوم العرب، و حفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك.

و ربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر و الشام و الأندلس و المغرب لبقاء الدين طلبا لها، فانحفظت بعض الشيء، و أما في ممالك العراق و ما وراءه، فلم يبق له أثر و لا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، و كذا تداريسه في المجالس.

و يؤكد ابن خلدون [1] في الفصل السادس و الأربعون، في أن اللغة ملكة صناعية، أنه فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، فاستحدث ملكة و كانت ناقصة عن الأولى و هذا معنى فساد اللسان العربي.

و لهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية و أصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف و هذيل، و خزاعة و بني كنانة و غطفان و بني أسد و بني تميم[2] ، و أما من بعد عنهم من ربيعة و لحم و جذام و غسان و إياد و قضاعة و عرب اليمن المجاورين لأمم الفرس و الروم و الحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم و على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة و الفساد عند أهل الصناعة العربية.[3]

و واقع الأمر أن اهتمام القدماء باللغة لم ينقطع أبدا، و بخاصة في تلك المجتمعات التي كان للغتها علاقة مباشرة بالدين، كما كان الحال بالنسبة للغة السنسكريتية في الهند و اليونانية و اللاتينية في أوربا، و العربية في البلاد العربية.

---

(1) ابن خلدون: م.س ص298،......، ص 176.
(2) أسماء لقبائل عربية.
(3) انظر الخريطة في الملحق التابع للبحث.

إلا أن الفرق بين الدراسات القديمة و الحديثة هو فرق في المدخل أو في أسلوب معالجة اللغة.

و لقد أولى العرب اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن أكبر قسط من العناية و الاهتمام، و ازدهرت العلوم اللغوية عندهم ازدهارا كبيرا، و لقد تأثر العرب بمنطق أرسطو من ناحية و بالمدرسة اللغوية من ناحية أخرى، كما شاركوا في الجدل الذي كان قائما حول طبيعة اللغة و نشأتها. فاتخذ ابن فارس (في القرن الرابع الهجري) موقع المدافع عن اللغة التوفيقية مستشهدا على ذلك بظاهر معنى الآية الكريمة " و علم آدم الأسماء كلها " [(1)]. أما الموقف المعارض فقد حمل لواءه ابن جني الذي كان يؤمن بأن اللغة اصطلاحية فيقول "أن أكثر أهل النظر على أن اصل اللغة إنما هو تواضع و اصطلاح، لا وحي و توقيف"، و هو يؤول الآية الكريمة بأن المقصود بكلمة "علم" هو "أقدر" أي أن الله سبحانه و تعالى أعطى آدم القدرة على الكلام و التسمية و ترك له الوضع و الاصطلاح بالنسبة للتفاصيل.

و أما من ناحية الأبحاث العامة، و بما يتعلق بقواعد اللغة، فقد قدم سيبويه (القرن الثاني الهجري أي الثامن ميلادي) خدمة كبيرة للغاية في كتابه المعروف "بالكتاب" و الذي أصبح المرجع لمن أتى بعده من اللغويين. [(2)]

الدراسات الحديثة تكون في الغالب إما ردود فعل عن الدراسات القديمة أو تحديثا و تطويرا لها.

و على أساس أن اللغة من أهم مقومات المجتمع فقد اهتم علماء الاجتماع في الدراسات الحديثة و المتخصصون في علم اللغة الاجتماعي، اهتماما كبيرا للغاية بمشاركة علماء الأجناس البشرية الذين يزودونهم بكثير من نتائج دراسة المجتمعات البشرية المتنوعة، و الموضوعات التي تناولها هؤلاء كثيرة و متشبعة و لكن خلاصة الأمر فيها تتوقف في حدودها الباحثة عند علاقة اللغة بالمجتمع فقط .

---

(1) القرآن الكريم: السورة :البقرة ، الآية: 31.

(2) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص ص 99،98.

فبعد أن كانت الدراسات القديمة تعتمد على الطريقة الوصية للبحث في قواعد اللغة و تركيباتها الصرفية و النحوية، فإن الدراسات الحديثة للغة تعتمد الآن على الطريقة الوظيفية لوصف اللغة، أي أن اللغة ظاهرة اجتماعية و يجب دراستها على هذا النحو، إذ أن اللغة تعكس لنا بيئة المتكلم و شخصيته، و تربيته، و درجة ثقافته و تعلمه، و حتى المنطقة التي ينتمي إليها، و هذا عمل يشارك فيه علماء اللغة، و الاجتماع، و علماء النفس و حتى علماء التاريخ، و إن أهمية الدراسة اللغوية الحديثة لا تعود لكونها اكتشفت مادة جديدة للبحث بل اعتمدت المنهج العلمي و ما اهتمت به اللسانيات الحديثة هو تحديد مهام دارس اللغة و ذلك بالتمييز بين ما هو لغوي و ما هو غير لغوي.

"إن الاكتساب و الاستعمال كليهما ينضوي تحت فضاء لساني واحد مفتوح على الزمان و المكان و الأخلاط البشرية، و العلاقة بينهما تتم من خلال كثرة أو قلة النشاط و تنوعه عبر الأشكال اللغوية العادية أو الانتقائية. إذ أن اللغة كما تكتسب تستعمل.

....و لا تفوتنا حتمية القول أنه لا يتضح تعريف اللغة غلا بربطه باللهجة و العكس صحيح، و لعل ربط اللغة باللهجات هنا لا يعقد الأمور بقدر ما يعمل على إزالة بعض الالتباسات الحاصلة." [(1)]

"فاللغة نظام إشاري لأية طبيعة فيزيائية، يحقق الوظائف المعرفية و التواصلية في عملية النشاط الإنساني. و اللغة يمكن أن تكون طبيعية و اصطناعية معا. فاللغة الطبيعية هي لغة الحياة اليومية، و التي تفيد كشكل للتعبير عن الفكر و كوسيلة للتواصل بين الناس. و اللغة الاصطناعية هي لغة خلقها الناس لبعض الحاجات الخاصة (لغة الرموز الرياضية، لغة النظريات الفيزيائية و الأنظمة المختلفة للإرشادات الخ). و اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ خلال تطور الإنتاج الاجتماعي. و تعد جانبا لا ينفصل عنه، فهي وسيلة لتآزر النشاط الإنساني. و اللغة من الناحية الفسيولوجية تعمل باعتبارها نظاما إشاريا ثانيا، و هو ما أسماه بافلوف إضافة نوعية للنفس الإنسانية.

---

(1) مرتاض عبد الجليل: مقاربات أولية في علم اللهجات، دار الغرب للنشرو التوزيع، وهران 2002 ص،ص104،92.

و اللغة شكل من وجود الفكر و شكل للتعبير عنه. و هي في الوقت نفسه تقوم بدور هام في تشكيل الوعي، حيث لا يوجد الوعي و لا يستطيع أن يوجد خارج اللغة و العلامة اللغوية باعتبارها اصطلاحا بالنسبة لما تدل عليه بفضل طبيعتها المادية مشروطة مع هذا اجتماعيا، فمحتوى الوعي الذي يكون في اللغة هو المحتوى اللغوي (المعنوي القاموسي و لنحوي لعلامة اللغة). و اللغة وسيلة لتثبيت و حفظ المعرفة المتراكمة و نقلها من جيل إلى جيل. و اللغة وحدها تتيح وجود الفكر المجرد، و حضور اللغة شرط ضروري للنشاط التعميمي للفكر، يقول لينين: "كل كلمة (كلام) تعميم". و مع هذا فليست اللغة و الفكر شيئا واحدا." [1]

و من اخطر ما هو راسخ في أذهان الناشئة من دارسي اللغة، تصور "العامية" أو "العاميات" تصورا يكتنفه الخطأ أو يلابسه الوهم، فالعامية عندنا "منحطة" أو صورة فاسدة من الكلام العربي "الفصيح" "الصحيح". و لقد يشتد الوهم بجماعة منهم فيرى أنها لا تجري على "قواعد" أو "أصول"، و لا يسهل عليه أن يتصور أنها باعتبارها "لغة" كأية لغة يمكن الكشف عن قواعدها، و وصف حقائقها، و أن في حيز الإمكان أن تصبح لهجة من اللهجات "العامية"، "لغة عامة مشتركة"، أو "لغة أدبية فصيحة" في يوم من الأيام. [2]

"فاللغة في المصطلح الحديث هي الرصيد المكنون في الأذهان و المعاجم و المتكون من كلمات و استعمالات مجمدة يستمد منها الكلام مادته لاسيما الحية منها و يخضعها للتأليفات اللفظية و السياقات النظمية الشخصية التي تكون محرك التعبير و التغيير و التطوير. فلو ربطت الفصاحة بالكلام المعاصر لها لاتضحت قضية الاستعمالات الحديثة و تبلورت منزلة العامية من الفصحى و لتمكنا من أن نصنع لكل كلام فصاحته الخاصة و لأصبحت الفصاحة فصاحات تمثل حلقا من سلسلة فصاحات العربية.

فندرك الفصاحة في منزلتها التاريخية الثرية و في استعمالاتها الحية المتجددة من عصر إلى آخر. فتظهر لنا العربية الفصحى مرحلة من مراحل العربية و ليست العربية كلها في كل زمان و في كل مكان مما سيجنبنا كل المتناقضات السابقة و سيوفر لنا وضع معجم تاريخي يؤرخ للغة في جميع أطوارها و يجسم خلافات المتفصحين. فتصبح الفصاحة أداة

(1) الموسوعة الفلسفية: ت/ سمير كرم، دار الطبيعة بيروت ط1، 1974.
(2) السعران محمود: علم اللغة، مقدمة القاريء العربي، دار الفكر العربي، القاهرة.

من أدوات تطوير اللغة و شاهدا موضوعيا يعينها على إدراك تطورها الذاتي من مرحلة إلى أخرى." [(1)]

و لقد ظن لغويو الغرب، و يجاريهم في تفكيرهم المعاصرون، أن لغة العرب القدامى كانت العربية الفصحى كما نعهدها في القرآن الكريم و الشعر الجاهلي و في القليل الذي وصلنا من النثر، لأي تامة الإعراب و على مناهج البلاغة و الفصاحة التي نعهدها في المدون الأدبي. ثم أنه عندما خرج العرب من موطنهم إلى مواطن الآرامية و الفارسية و القبطية فقدوا "ملكة اللسان" كما يقول ابن خلدون و غيره، و أخذت مظاهر الركاكة و الرطانة و العجمة تتسرب إلى لسانهم فنشأت اللهجات. و أن أثر لغة في لغة أخرى من العوامل التي تعمل على نشوء التغاير و التباين في اللغة، غير أن أسباب نشوء اللهجة ترد إلى عوامل أخرى أهمها أن اللغة لا تثبت على حال، فهي مجرى، و كلما بعد المجرى ظهر التباين.

فنحن نعلم أن الفصحى بعد أن أصبحت لغة الدين و اللغة الرسمية للدولة الجديدة أخضعت للقيود، القيود التي يفرضها الصرفيون و النحويون، فهم يحرصون مخلصين على وضع نظام صرفي نحوي للغة حفاظا عليها من الفساد. و الخطأ أن اللغة لا تقيد. و الشاهد على هذا أن العامية، أي لسان العامة، لم يخضع لهذه القوانين و الأحكام فسار سيره الطبيعي بينما بقيت الفصحى على أساليبها لم يتغير فيها شيء ما، إن من جهة الصرف أو من جهة النحو. فكان من الطبيعي أن تتسع الشقة بين اللغتين حتى أصبحنا في نظر علماء اللغة لغتين مختلفتين متغايرتين.

و النتائج المترتبة على هذه الازدواجية في اللغة بعيدة الأثر، فإننا في حياتنا اليومية نتكلم لغة سلسة سيالة تتميز بفقدان الإعراب و بغنى في الحروف المصوتة التي تضفي على النطق بها مسحة تخالف النطق بالفصحى. و كذلك تتميز بمرونة في التركيب و بسهولة في التعبير.[(2)]

---

(1) الحمزاوي محمد رشاد: العربية و الحداثة، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1982، ص28.
(2) فريحة أنيس: اللهجات و أسلوب دراستها، م.س، ص ص 24،25.

[و يظهر مما سبق ذكره أن اللغات قد تحيا، نتيجة لاستمرار بقائها في الاستعمال على ألسنة أهلها، و قد تموت لانقراضها من الاستعمال، أو تغييرها، و اضمحلالها و ليس معنى موت اللغة أن يقضى عليها نهائيا بحيث لا يبقى لها أثر، لأنها –عندما تموت– تكون قد تركت آثارا في خليفاتها، كما يقول الدكتور السمران: "إن اللغة اللاتينية لم تمت في الحقيقة من الناحية التاريخية، بل أصابتها تغيرات عميقة، أنتجت أشكالا حديثة لها، أبرزها البرتغالية، و القشالية، و لغة قطالونة، و لغة بروفانس، و الفرنسية، و الإيطالية، و لغة رومانيا، و الإسبانية و قد بلغ من شدة هذه التغيرات و عمقها أنا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة اللاتينية بأنها لغات مختلفة." (1)

و وصل العلماء، في أمر التوحد و الانقسام، إلى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة، فاللغات، متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية و البيئية و الاجتماعية و الثقافية، تميل إلى الانقسام أكثر من التوحد، و هذا رأي بعض اللغويين.

و هو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية، فاللغات، منذ آدم عليه السلام، يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد، و هي على هذه الحال في شتى بقاع الأرض إلى اليوم، و لم تستمر، حتى الآن، لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق إلى لهجات.

و قد حدد العلماء الأسس التي تؤدي إلى ظهور لغة عامة، و إلى استمرار التوحد اللغوي لأمة اكتملت لها تلك الأسس، كالاتصال و الاختلاط بين المتكلمين و شيوع الأدب، و الثقافة بعناصرها المتعددة، و ما يصعب ذلك من حالات اجتماعية و سياسية، و اقتصادية، و عسكرية، و إعلامية. و الملاحظ أن لكل بيئة لهجتها الخاصة، التي تنبع من حياتها، و المؤثرات عليها، فهناك لهجات خاصة، تبعا للطبقات المتعددة، فلهجة الأرستقراطيين و أخرى للزراعيين، و ثالثة للتجاريين، و رابعة للبحريين، و خامسة لأرباب الصناعات و المهندسين، و سادسة للرياضيين، و غير ذلك من ألوان اللهجات التي تناسب كل الفئات الاجتماعية، و لذا يطلق علماء المحدثون على هذا اللون اللهجي اسم "اللهجات الاجتماعية" و أهم تلك اللهجات ما يسمونه "اللهجات الحرفية".(2)

(1) السعران محمود: اللغة و المجتمع، م.س، ص ص 167، 169.
(2) د. وافي: علم اللغة، ص ص 173، 176 و فندريس: اللغة، ص 315، 427، 428.

كما أن الانقسام إلى لهجات، شعبية و محلية، كانت له مبادىء و قوانين عمل الغربيون على إثبات وجودها، و تأكيدها بالأدلة السليمة النابعة من التجارب، و دراسة الوقائع اللغوية، التي تؤكد صحة النتائج.

و قد وصلوا من ذلك إلى تحديد عوامل الخلاف، التي تحدث في صراع اللغات ة اللهجات، و ما يعتريها من تشعب، فقد يكون كثيرا من الناحية الصوتية، ثم يكون –أيضا– من الناحية الدلالية، أما ناحية القواعد فإنها تكون قليلة و بطيئة التغير عادة.

و إننا نلاحظ ذلك في لغتنا العربية، فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التي كانت في الجزيرة، مثل العنعنة، و الفحفحة، و الكشكشة، و غير ذلك، و بعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما في وثب فهي، عند حمير، بمعنى جلس، و عند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفر و السدفة، في لهجة تميم، الظلمة، و في لهجة قيس الضوء[1] ، أما الخلاف في القواعد، كالبنية و الإشتقاق و الجمع و التأنيث و النسب و التصغير و تكوين الجمل، فهو قليل، و هكذا في اللهجات العربية الحديثة.

و قد يظهر في ملاحظة تلك العوامل، و ظواهر الانقسام، و دراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال، فمادام البشر مختلفين في طبيعة بيئاتهم و أجسامهم، و ثقافاتهم، و العوامل التي تتقلب عليهم، فلا يمكن اتحاد لغاتهم، لأنها سوف تخضع لتلك العوامل و تتأثر بها، فمهما كانت واحدة في أول أمرها فسوف يعروها الانقسام، و صدق الله العظيم إذ يقول: "و من آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم." [2]] [3]

---

[1] السيوطي: المزهر، ط1، ص ص 188، 191.

[2] من سورة الروم: الآية 22

[3] هلال عبد الغفار: علم اللغة بين القديم و الحديث، ط2، مطبعة الجبلاوي، شبرا، 1406ه-1986م، ص100،.....،104.

2) علم اللهجات:

قبل أواخر القرن التاسع عشر، لم ينظر الغربيون إلى دراسة اللهجة المتفرعة عن لغاتهم نظرة باحثة، بل حاولوا توجيه اهتمام الناس إلى توظيف الفصحى كلغة رسمية تحافظ على كيانهم الحضاري و الأدبي، و هم بذلك أعطوا لقوميتهم انتماءا صحيحا متينا تجسده وحدة الثقافة و الأصالة، إذ تعتبر هذه اللغة الوعاء الأول و الأخير الذي حوى تاريخ الأجيال و الحضارات الماضية، و نقلتها بطبيعة التعامل إلى الأجيال المتداولة محافظة على القيم القديمة و منها التراث و الفن و جماليات التحضر، فكيف يكون الحال لو تصورنا العكس؟ أي أن يتجه الناس إلى العاميات، هته الأخيرة التي لا تستطيع أن تلعب الدور العظيم الذي لعبته الفصحى. و أمام هذا الخطر حذر العلماء من استعمالها، و طالبوا مجتمعاتهم الحفاظ على الفصحى، و ذهب بهم الإصرار، و معهم الحكام، إلى ابتكار الطرق و الوسائل الكفيلة بمنع انتشار العاميات.[(1)]

و لم يكن هذا العامل الوحيد الذي ساعد على إهمال دراسة اللهجات، في تلك الحقبة من التاريخ، بل تداخلت عوامل أخرى و منها:

1- توجه الدراسة إلى الفصحى لتبيان خصائصها و اتجاهاتهالأنها، مع غرض الحفاظ عليها و دوام استمرارها، معبدة الطرق، واضحة المسار، مستقرة النظم، ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها و النظر في أمرها، على العكس من اللهجات الشعبية التي يحتاج تحديد مسارها و نظمها، وسماتها إلى دراسة دائبة، و جهود جبارة يبذلها الباحث، و يحتاج لاستخلاص حقائقها إلى أزمان طويلة، و ما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية و الثقافية و البيئية للشعوب.

2- العلماء آنذاك كانوا يحبون الدعة و الهدوء، و هذا ما توفر في الفصحى لأن سماتها واضحة معلومة لا تتطلب القيام بأسفار ذات المشقة و الأتعاب في الانتقال، أما اللهجات فتحتاج، لتتبع خصائصها و التعرف على ظواهرها، إلى تنقل و ترحال لملاقاة أربابها في

---

(1) هلال عبد الغفار حامد: م.س بتصرف

بيئتهم دنت أو نأت، سهلت أو صعبت، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر و الرحلات الشاقة.

و لكنها يوما ما فرضت نفسها عليهم، وجذبتهم، إن طوعا أو إن كرها، إلى دراستها، و تتبع خطواتها، لأن التطور سنة الحياة، و ما في الكون، بشتى ألوانه، يتطور، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات في هذا الشأن، فكما يتطور كل شيء تتطور اللغة.

و لذا، على الرغم من محاولات الغربيين منع زحفها، و جدنا سبيلها يتحقق في كل مكان، و رأينا انشعاب اللغات الفصحى إلى عديد من اللهجات الشعبية، تبعا لسنة الطبيعة، و عوامل الاجتماع، في الداخل و الخارج، فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها، فاضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع، و الاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة، حتى يعرفوا خط سيرها، فبدؤوا في أواخر القرن التاسع عشر، و أوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات و دراستها.[1]

"و تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد تمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرن التاسع عشر و العشرين، حتى أصبحت الآن عصرا هاما بين الدراسات اللغوية الحديثة، و أسست لها بعض الجامعات الراقية، فروع خاصة بدراستها، تعني بشرحها و تسجيل نماذج منها تسجيلا صوتيا يبقى على الزمن."[2]

"إن الحقول الخاصة بهذا الميدان لم تحدد نفسها تحديدا واضحا على الأقل، خلال المراحل الأولى التي ظهرت فيها كعلم مستقل له منظرو و نظرياته، و إلا اعتبرنا المناهج التي كان الهنود و الإغريق ثم العرب يستخدمونها أو يعاملون بها اللغة المحكية مفردات و نصوصا لا تبتعد عمليا و علميا كثيرا عن هذا المسمى المعروف ب Dialectologie (علم اللهجات)." [3]

---

(1) المرجع السابق: ص97،...ص99.
(2) أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية،ط9 ، 1995، ص ص9، 10.
(3) مرتاض عبد الجليل: مقاربات أولية في علم اللهجات، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2002، ص 13.

كما أن فرديناد دي سوسير لا يتردد في تسمية هذا الحقل باللسانيات الجغرافية، و يعالج تحت هذا المصطلح في الجزء الرابع من كتابه[1] العناصر التالية:

1- تنوع اللغات: إذ بالنسبة لهذا اللساني أن ما يلفت النظر في دراسة اللغة إنما يكمن في تنوعها، إلى جانب ما يسميه بالفوارق اللغوية المتحركة، و هي تلك التي تنتقل من بلد إلى آخر و من مقاطعة إلى أخرى.

2- تعاصر لغات عديدة في موقع ولحد: يرى سوسير من خلال هذه النقطة أنه بقدر ما يوجد من مناطق توجد لغات متميزة، و يبقى الفصل الجغرافي العامل الأكثر شمولا في التنوعات الكلامية الجغرافية.

3- بواعث التنوع الجغرافي: و يضع الرجل الزمن عاملا أساسيا، حتى أنه ليرى أن نترجم التنوع الجغرافي الزمني، و لذا فلا يمكن الدراسة في هذا الميدان أن تكون أحادية الجانب، لأنه حين تصطدم لغة منقولة بأخرى أصلية، فإنه ليست اللغة المنقولة هي التي تتغير وحدها و أن الأصلية تبقى ثابتة، حتى و إن كان العكس لا يحدث بشكل مطلق أيضا، و بكلمة واحدة فإن "لا ثبوتية اللغة إنما تعود إلى الزمن وحده، إن التنوع الجغرافي هو إذا مظهر ثانوي للظاهرة العامة، و وحدة اللغات ذات القربى لا توجد إلا زمنيا و هذا مبدأ لابد للألسني من تعمقه."[2]

و قد جاء في موسوعة الأنتروبولوجيا الثقافية[3] ما يلي:

يقوم علم اللهجات بدراسة ما تشترك فيه جماعة من المتكلمين و ليس الجميع، فبينما تعتني اللسانيات النظرية بما هو مشترك لدى جميع المتكلمين للغة ما، يقوم علم اللهجات بدراسة نظرية و ميدانية للعلاقة الموجودة بين متكلمين أو أكثر لهذه اللهجة و دورها في قيام المجتمع.

و نظرا لاتجاهه الاجتماعي، ينظر إلى علم اللهجات كونه قسما من أقسام اللسانيات الاجتماعية التي بدورها تدرس اللغة في المجتمع بشكل عام.

و في حالات مهمة متعددة يستعمل علماء اللهجات و الناس العاديون لفظة لهجة بطريقة مختلفة. فبالنسبة للكثير تعتبر اللهجة تنوعا جغرافيا للغة ما و الذي سيستلزم،

---

(1) راجع فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ت/ يوسف غازي و مجيد النصر، ص ص231، 256.

(2) المرجع نفسه.

(3) Encyclopedia of cultural anthropology: David LEVINSON/Melvin EMBER P 337,...,340.

اعتبارها اعتياد أو طريقة عيش عند البعض. و كثيرا ما تعد اللهجة لغة غير الفصحى أي رديئة و منحطة مستعملة عند عامة الناس القاطنين بالمناطق النائية و الفقيرة من الجانب الاجتماعي و الثقافي.

و لكن بالنسبة لعلماء للهجات و اللسانيين، اللهجة ليست محددة بالعامل الجغرافي فحسب، و لاجتناب المغالطات يستعمل "التنوع اللغوي" مكان لفظة "لهجة" تفاديا سوء الحكم.

و مما سبق ذكره فإن اللهجة معرفة كونها تنوع لغوي متعلق بطريقة مباشرة بعنصر أو أكثر من العناصر الغير لغوية (اللالغوية).

العنصر الجغرافي واحد منها و كذلك الطبقة الاجتماعية، و عنصر العمر و النسب إلخ.

لهذا نجد، زيادة عن اللهجات المحلية و الجغرافية، لهجة خاصة بكل طبقة، و لهجة خاصة بكل فترة من العمر، إلخ، و من غير الممكن أن نحيط بها جميعا لأنه خلافا لما يعتقد عامة الناس، كلنا نتكلم لهجة بل لهجات كثيرة. نتكلم لهجة منطقتنا، و لهجة توافق عمرنا، (كلهجة المراهقين التي تظهر بقوة مثلا)، و لهجة العائلة التي تنتسب إليها...إلخ.

و من هذا يمكننا الاستنتاج أنه لا يوجد شخص لا يتكلم لهجة معينة أو يتكلم لهجة واحدة، فحتى الكلام الذي يظهر بدون خصائص لهجية، يعتبر لهجة في حد ذاته.

و في مطلع الستينات، و خاصة تحت تأثير أعمال العالم ويليام لابوف " William Labov" 1966، أخذ اهتمام علم اللهجات اتجاها مختلفا تماما. فبينما كانت الدراسات قائمة حول القرى و الأرياف في بادئ الأمر، انتقلت بعد ذلك إلى المدن الكبرى حيث بإمكانهم جمع المعلومات من الحالات الطبيعية التي يكون عليها الفرد حين يتكلم عوض اللقاءات المحضرة مسبقا التي يكون فيها المتكلم في وضعية غير طبيعية.

و ما لفت اهتمام العلماء هو بدون شك الاعتراف أن العوامل الاجتماعية تلعب دورا هاما في تفسير التصرفات اللغوية. لقد ترأس "Labov" التقنيات التحليلية و المنهجية التي توضح لنا العلاقة الوطيدة و التداخل الموجود بين اللغة و المجتمع.

و يتضح من ذلك أن اللهجات ستبقى دائما قوية و هذا لسبب بسيط جدا كونها ناتجة عن العوائق، و طالما بقيت العوائق ستبقى اللهجات. البعض منها جغرافية و اللهجات كثيرا ما تحدد بمثل هته العوامل كالأنهار و الجبال، بينما البعض الأخرى اجتماعية و مفروضة من الفرد نفسه.

إن كان ذلك جغرافيا أم اجتماعيا، فالجماعات المنعزلة أو المنفردة تميل إلى تطوير نمط عيشها و طريقة كلامها و هويتها لخاصة بها، و من هنا تعتبر اللهجة شكل من أشكال التعريف و التشخيص.

و من كل هذا، نحسم القول أن اللهجات ستصبح على مر الأيام أقوى و أكثر. و طالما تواجدت جماعات داخل مجتمع أوسع، فستتواجد دائما لهجات مسايرة لها.[1]

"أما مؤرخو العرب و صرفيوهم، فقد أشاروا إلى اللهجات العربية إشارات عابرة، و لكنهم لم يحاولوا الإجابة عن السؤال: كيف نشأت؟ فقد تكلم الكسائي تلميذ الخليل عن لحن العامة (و له في الموضوع كتاب مخطوط) و ذكر الجاحظ كثيرا من النوادر اللغوية التي تعكس لحن العامة و عجمة بعض الناس. و تكلم ابن خلدون عن "فساد الكلمة" و "لغة الأمصار" و تكلم غيره عن "لغات فاسدة" و عن "الرطانة" و"العجمة". و منهم من أشار إشارات دقيقة إلى لهجات و قرنوها بأسماء تميزها: كشكشة أسد، و عنعنة تميم، و طمطامية حمير، و عجعجة قضاعة، و فحفحة هذيل، و قطعة طيء، و غيرها كثير. و لكن أحدا من القدماء لم يدرسها. و على دارس اللهجات العربية القديمة أن يبدأ بالاختلافات في القراءات المتبعة في قراءة القرآن، و بجمع النتف الباقية في ثنايا كتب الأدب (ملاحظات الجاحظ[2] مثلا) و بجمع الملاحظات المعجمية، و من تم جمعها يتبين له أن الفروقات بين هذه اللهجات ليست يسيرة، بل تتناول نواحي لغوية عديدة، على الصعيد الصوتي و الصرفي و المعجمي.

و جل ما يفهم من كلامهم أن اللهجات العربية هي انحطاط لغوي، فهم من هذا القبيل ينتمون إلى المدرسة التي تقول أن اللهجة انحطاط لغوي... و قد أثبت علم اللهجات بطريقة لا يتسرب إليها الشك أنه ليس ضروريا أن تكون اللهجة انحطاطا من لغة

---

(1) Edward CALLERY : Traduction personnelle.

(2) الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3.

فصحى، فقد تكون أقدم منها في الزمن، أو قد تمثل تطورا و تقدما لا انحطاطا. و لا يمكن الأخذ بالرأي القائل أن نشوء اللهجات مرده إلى خروج العربية من موطنها الأصلي و احتكاكها بلغات أخرى. و لو كان هذا فكيف نعلل نشوء اللهجات في البلاد العربية ذاتها حيث ظلت الفصحى على عزلتها؟... و نعتقد أن من أسباب نشوء اللهجة المغايرة الفردية أن لكل إنسان لهجته الخاصة، و أن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة"!

أما السبب الثاني فهو اتساع الرقعة الجغرافية الذي يعمل على تشعب المجرى و تجزئه إلى مجار صغيرة مختلفة، فقد تحافظ اللغة على أصواتها و على صرفها و نحوها و تركيبها زمنا طويلا إذا ظل المجتمع الذي يتكلم هذه اللغة مجتمعا صغيرا قريبا من الموطن الأول، أو إذا ظل مترابطا متماسكا متجانسا منكمشا على ذاته... أما إذا انحل المجتمع إلى مجتمعات بسبب ضعف الروابط أو فقدانها فإن المجرى يميل إلى التشعب و الانقسام و عندها تظهر الفروقات اللغوية بسرعة و وضوح.

أما السبب الثالث فهو احتكاك لغة بلغة أخرى فينتج صراع لغوي ثقافي يظهر في اللغة و أفضل مثال على هذا احتكاك العربية بالآرامية و الإيرانية[1] و هو ما نسميه بعملية التأثير و التأثر.

2).1. علاقته بالأنثروبولوجيا:

يقول يوهان قوتليب "J-G-Fichte" أستاذ الفلسفة بجامعة بريل:

"إن اللغة هي التي تكون الإنسان، و ليس العكس و هي التي تؤثر فيه، و ليس العكس، فهي صدى روح الأمة، و تؤثر في التصورات و تصبغ عليها معاني و ألوانا، و تعكس عليها أشعة أو ظلالا خاصة بها هي التي تجعل الإنسان من هو، و ليست مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه، بل هي، أي لغة، الطبيعة الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة لا يمكن أن تكون غيرها، و بهذه الأصوات الخاصة التي هي

[1] فريحة أنيس: اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409ه-1989م، ص85،......،ص 89.

صدى الروح بما تحمله من شحنات عاطفية و تصورات و مفاهيم و ذكريات مشتركة يتفاهم الإنسان بها مع من يشاركونه نفس التصورات، و نفس المفاهيم، و الطبائع، و التقاليد، و العادات، و الذكريات، أي مواطنيه، و لو كانوا في قارات أخرى غير قارتة!"
"إنها تلك القوة الطبيعية العارمة التي تتدفق تلقائيا، و تؤثر في الإنسان و الحياة تأثيرا مباشرا فعالا، بما تشحنه من طاقة كامنة، و قوة ديناميكية فياضة تدفع إلى الأمام!"
"إن اللغة تؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيرا لا حد له، يمتد إلى تفكيره، و إرادته، و عواطفه، و تصوراته، و إلى أعماق أعماقه، و إن جميع تصوراته تصبح مشروطة بهذا التأثير، و متكيفة به."[(1)]

و مما سبق ذكره، لابد أن نشير إلى التشابك الكبير الذي أصبح واضحا الآن بين دراسة اللغة حتى من الناحية الشكلية البحتة و بين الدراسات العلمية و الإنسانية و الاجتماعية الأخرى.

"فما أن يبدأ عالم اللغة أو المتخصص في أي فرع من فروعها بدراسة تلك الظاهرة حتى يصيبه الذهول. إن السهولة و الطلاقة التي يستخدم بها الناس، جميع الناس، لغتهم الأصلية تعطي انطباعا خاطئا جدا، هو أن اللغة بسيطة للغاية. و يؤيد هذا الانطباع ما نلاحظه من أن الطفل الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره يكون قد ملك زمام اللغة في مدة قصيرة للغاية لا تتعدى السنتين أو الثلاث، على الرغم من أن عقله لا زال في طور النمو المبكر. فإذا بدأ عالم اللغة بوصف اللغة من حيث تركيبها الداخلي و طريقة تعبيرها عن المعاني، وجد أمامه مشكلة عويصة للغاية. بدأ العلماء في محاولة حلها منذ آلاف السنين و لم يتوصلوا إلى نتيجة مرضية لذلك حتى اليوم، لأنه يجد أمامه نظاما في غاية التعقيد يتألف بطرق معينة من أنظمة أخرى كل منها لا يقل تعقيدا عن الآخر. فإذا بدأ في محاولة وصف كل من تلك الأنظمة وجد نفسه بحاجة إلى عون كثير أو قليل من علماء آخرين يعمل بعضهم في المخابر الخاصة بتحليل الأصوات البشرية، بينما يختص آخرون بعلم النفس، و غيرهم بعلم الاجتماع أو علم الأجناس أو بنظرية المعلومات و طرق الاتصال، أو بهندسة الصوت عند انتقاله في الهواء...

(1) مولود قاسم: اللغة و الشخصية في حياة الأمم، الأصالة، مطبعة البحث، قسنطينة، 1974/1973 ص 51، 52.

و على أساس أن اللغة من أهم مقومات المجتمع فإن اهتمام علماء الاجتماع، و المتخصصين في علم اللغة الاجتماعي، اهتمام كبير للغاية، يشاركهم فيه و يزودهم بكثير من الملحوظات و نتائج دراسات المجتمعات البشرية المتنوعة، علماء الأجناس البشرية (الأنتروبولوجيا)، و موضوعات اهتمام هؤلاء جميعا كثيرة و متشعبة و لكنها في خلاصتها تتركز في علاقة اللغة بالمجتمع."[1]

و لكي نعرف العلاقة بين علم اللهجات و الأنتروبولوجيا يجب علينا أن نعرف الأنتروبولوجيا أولا لنرى المجالات التي تبحث فيها و علاقتها ببحثنا هذا.

كيف يمكننا تحديد مفهوم الأنتروبولوجيا؟

سيكون صعبا تحديد مفهومها بطريقة دقيقة، حيث أن مفهوم أي علم لا يأخذ حقيقة معناه إلا عن طريق دراسة نتائج هذا العلم في جانبيه النظري و التطبيقي.

فلمدة طويلة كانت الأنتروبولوجيا علم المجتمعات البدائية، حيث أنها أعطت للمجتمعات التي تخصها بالدراسة طابعا خاصا.

و هي الآن تعرف كونها علم التنوعات الثقافية ة الاجتماعية، و بصفة عامة فهي علم الإنسان داخل المجتمع.[2]

و اللغة أكثر من فونيمات، و أكثر من كلمات، و أكثر من تركيب، للغة حياة، و هذه الحياة هو العنصر الأساسي. إن الفصحى ليست لغة الكلام فلا يرجى منها أن تعبر عن الحياة بحلاوتها و مرارتها و قسوتها، و لينها كما تستطيعه العامية. و الدليل ظاهر، فإنك لا تستطيع أن تقول بالفصحى ما تقول في العامية، و إذا نقلته إلى الفصحى أتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الإنساني اللصيق باللغة.[3]

و لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فدراستها من ناحية، جزء من علم الاجتماع العام...، و الحق أن كثيرا من التقدم الذي أحرزته الدراسة اللغوية حديثا راجع إلى الاستعانة بحقائق من علم الاجتماع، و إلى وصل دراسة اللغة بدراسة المجتمع، كما تتم الاستعانة بعلم الأجناس البشرية (الأنتروبولوجيا)، و بعلم الوراثة، و بعلم الحياة العام.

---

(1) KILANI Mondher : Introduction à l’Anthropologie , Edition Payot Lausanne, France p19

(2) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص 13، 76، 77، 92.

(3) فريحة أنيس: م.س، ص 109.

و علم اللغة شأن سواه من العلوم الاجتماعية، علم تاريخي على نحو ما.فاللغة التي هي موضوعه لا غنى في دراسة تطورها و صلتها بالمجتمعات، و في دراسة انقسامها إلى لهجات، و دراسة ظهور "اللغات العامة"، لا غنى في دراسة ذلك كله و سواه، عن الاستعانة بمعلومات من التاريخ و الجغرافيا.[1]

و الأنتروبولوجيا الاجتماعية تكسر عائق الكتابة فلا يوجد مراجع أو مصادر يعتمد عليها، و لكن توجب الدراسة في الميدان، و تعلم اللغة، و جمع التقاليد و الطقوس الشفوية، و معاشرة الناس في حياتهم اليومية، و مشاركتهم في المسرح الاجتماعي. و لعب دور من أدواره و العمل على فهم المسرحية.

كما أن الطرق المتبعة في الأنتروبولوجيا الاجتماعية تعلمنا الكثير عن مجتمعنا الخاص. فهي جد فعالة كلما تعلق الأمر بالفرق بين الحرف و الكلام، و بين الكلام و الفعل و كلما تواجدت مجتمعات منغلقة على نفسها داخل المجتمع العام.[2]

2).2.علاقته بعلم الأصوات:

"إن علم الأصوات فرع هام من فروع علم اللغة و لا يمكن لنا فهم الجزء دون تعربف الكل.

"علم اللغة" هو العلم الذي يتخذ "اللغة" موضوعا له. قال فرديناند دي سوسير " DE SAUSSURE Ferdinand" في "محاضرات في علم اللغة العام": إن "موضوع علم اللغة الوحيد و الصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها و من أجل ذاتها"[3]

و اللغة التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية، أو الإنجليزية، أو العربية، ليست لغة معينة من اللغات، إنما هي "اللغة" التي تظهر و تتحقق في أشكال لغات كثيرة و لهجات متعددة، و صور مختلفة من صور "الكلام" الإنساني. فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، و هذه الأخيرة تفترق عن الفرنسية، إلا أن ثمة أصولا و خصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات، و تجمع ما بينها و بين سائر اللغات و صور الكلام

---

(1) السعران محمود: م.س.ص ص 74، 75.

(2) COLLEYN Jean Paul : Eléments d’Anthropologie Sociale et Culturelle, Belgique 1990.

(3) DE SAUSSURE Ferdinand : Cours de Linguistique Générale, Paris 1949, p 317.

الإنساني، و هو أن كلا منها "لغة"، أن كلا منها نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع، و تتحقق به وظائف خاصة، و يتلقاه الجيل الحادث عن الجيل السابق، و يمر هذا النظام بأطوار معينة متأثرا بسائر النظم الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الدينية...الخ، و هكذا فعلم اللغة يستقى مادته من النظر في "اللغات" على اختلافها، و هو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق و الخصائص التي تسلك اللغات جميعا في عقد واحد.

موضوع علم اللغة إذن ليس "لغة" معينة من اللغات، بل اللغة من حيث كونها وظيفة إنسانية عامة، و التي تبدو في أشكال نظم إنسانية اجتماعية، تسمى اللغات كالروسية و الإيطالية و الأسبانية، أو اللهجات أو أي اسم آخر من الأسماء. هذه الصورة المتنوعة المتعددة واحدة من جوهرها، و تمثل وظيفة إنسانية."[1]

"هذه هي "اللغة" التي هي موضوع "علم اللغة"، أما معنى قول دي سوسير إن علم اللغة "في ذاتها" فهو أن يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها.

أما ان علم اللغة يدرس اللغة "من أجل ذاتها" فمعناه أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضا تربوية مثلا، أو أية أغراض عملية أخرى. إنه لا يدرسها هادفا إلى "ترقيتها" أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل أخرى، إن عمله مقتصر على أن يصفها و يحللها بطريقة موضوعية."[2]

و قد يكون من الضروري أن نذكر بأن علم الفونيتيك (علم الصوت اللغوي) جزء أساسي من علم اللغة العام "General Linguistics" إذ أن على دارس اللهجة أن يدونها و يضبط أحكامها الصوتية و التركيبية، و قد يصعب عليه الأمر إن لم يكن ملما و لو إلماما بعلم الصوت اللغوي. على الأذن أن تكتسب مرانا في السمع لمعرفة طبيعة الصوت

[1] السعران محمود: م.س. ص 51،...........، ص 54
[2] المرجع نفسه.

و مخرجه، و على اللسان أن يكتسب مرانا في إعادة الصوت لكي يدون ما يسمعه فونيتيكيا.

و قد تكون مسألة اكتساب المران في السمع و النطق أمرا ثانويا إذا اعتبرنا مسألة أخطر شأنا و هي تعليل كثير من المظاهر الصوتية و الإعرابية فإنها يمكن أن تكون عند التحليل الأخير إما تطورا صوتيا أو انحلالا صوتيا. كثير من قواعد الإعلال و الإدغام و سقوط الإعراب يمكن أن تفسر فونيتيكيا، فعلم الفونيتيك إذا أمر لا مفر منه في كل دراسة لغوية.[1]

"فما هو مسلم به هو إنه لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما، دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، و أنظمتها الصوتية. فالكلام أولا، و قبل كل شيء، سلسلة من الأصوات فلابد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة، هذه الوحدات التي تتألف منها "المقاطع" على أنظمة معينة تختلف باختلاف اللغات، المقاطع التي قد يكون بعضها، دون ائتلاف مع غيره، كلمات، و التي تتكون أكثر الكلمات من ائتلاف عدد منها. ما المقاطع التي يأتلف بعضها مع بعض؟ و على أي أنظمة صوتية يجري هذا الائتلاف؟ و ما الذي يطرأ على بعض الأصوات عندما تأتلف المقاطع في الكلمات؟ ثم ما الذي يحدث عندما تلي الكلمة الكلمة في الكلام المتصل؟ هذا كله. و كثير غيره لابد من لإدراكه قبل الشروع في وصف أية لغة من اللغات.

من المجال إذن دراسة بنية الكلمات دون التحقيق الصوتي للعناصر المكونة للكلمات، كما أن دراسة "نظم" الكلام قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية مثلا. و الدراسة الدلالية، أي دراسة المعنى، لا يمكن أن تثمر ما لم ترتكز على دراسة الصور الصوتية و التنغيمية.

و علم الأصوات اللغوية لا يقتصر على خدمة الدراسة اللغوية "الوصفية" أي لا يقتصر على وصف الأصوات و الأنظمة الصوتية الخاصة بلغة ما في فترة معينة من تاريخها. بل يخدم الدراسة اللغوية "التاريخية" و الدراسة اللغوية "المقارنة" كذلك، فهو يقارن بين أصوات لغة معينة في فترة معينة و بين أصوات نفس اللغة في فترة أخرى من

---

(1) فريحة أنيس: م.س. ص ص 115، 116.

فترات تطورها بعد دراستها في هذه الفترة دراسة وصفية، أو بينها و بين أصوات لغة أخرى في عصر خاص من عصور تطورها."(1)

و هذا الفرع الذي يتعلق بدراسة اللهجات، يحتاج إليه دارس الفونيتيك و السيمانتيك على سواء، بل أن أي باحث في اللغة –بجميع فروعها– لا يستغني عنه، فهو يحوي دراسة أصوات اللهجات، و اتجاهاتها، و دلالة الألفاظ و الاختلافات الطارئة عليها، كما يتناول بالبحث نظمها التقعيدية و الأسلوبية و غيرها من الظواهر اللغوية المتعلقة بها، و أسبابها، و نتائجها، و هي تجري بمثابة بحوث مقارنة عن أوضاع اللغات و اللهجات الحي منها و الميت.(2)

و يتضح من كل ذلك أن موضوع علم الأصوات هو "الصوت الإنساني الحي" كنموذج متكامل من نماذج السلوك الاجتماعي.

و إن دراسة ما يسمى ب "الحدث الكلامي" [speech event]، دون الإشارة إلى معناه، هو موضوع علم الأصوات اللغوية. و إن دراسة الصوت الإنساني الحي أمر على جانب كبير من الصعوبة، فنحن مضطرون إلى تقسيمه و تحليله إلى ما يسمى ب"عناصر الكلام"، أي القيام بعملية "تجريد". فتحليل "السلسلة الكلامية" إلى عناصر خاصة صعب إذا أتينا بوصف أصوات لغة لا نفهمها. فالمشقة تكمن في معرفة الحدود بين صوت و آخر في "السلسلة الكلامية" بل سنجد مشقة في تحديد أوائل الكلمات و خواتمها.

فعلم الأصوات اللغوية يقوم بدراسة الصوت الحي للإنسان و هو يؤدي نشاطه اللغوي، و تحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجريدها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر، و بيان كيفية انتقالها في الهواء، و ذكر خصائصها المميزة لها، ثم تصنيفها على أسس معينة. و من هنا كان هذا العلم ذا أهمية جوهرية بالنسبة لسائر فروع علم اللغة، إنه حجر الأساس بالنسبة لأي دراسة لغوية أخرى كالنحو، أو النحو المقارن، أو دراسة المعنى.(3)

---

(1) السعران محمود: م.س، ص ص 133، 135.
(2) هلال عبد الغفار حامد: م.س، ص 105.
(3) السعران محمود: م.س، ص 104،....، ص 106.

و بصدد الحديث عن الأصوات في "الكلام" فمن الجدير أن نعرف أن "كلام" أي لغة من اللغات ليس مجموعة من الأصوات المفردة، نحن لا نتكلم أصواتا كل منها قائم برأسه، نحن نتكلم "كلمات" و "جملا" و "فقرات" و إذا كانت هذه الأخيرة ترتد، من الناحية الصوتية، إلى مجموعة محدودة من "الأصوات" فليس معنى هذا أن الأصوات في الكلام المتصل تحتفظ بخصائصها كوحدات مستقلة، و لكن ينبغي أن نعلم أن الصوت في الكلمة، وفي الجملة، و في الكلام المتصل يكتسب خصائص جديدة. فللأصوات فيما بينها نحوا خاصا و علاقاتها تحكمها قواعد و أصول معينة، فيدغم الصوت الفلاني في الأصوات الفلانية في مواضع معينة، و ينقلب صوتا جديدا إذا وقع في "سياق صوتي" معين، و يحذف إذا توفر فيه و فيما يجاوره من أصوات شروط معينة، وقد يظهر لهذا الحذف أثر ما في سواه من الأصوات المجاورة، و نجد أن المقطع الفلاني إذا وقع في هذا الموقع من الكلمة نطق بقوة نفس أكبر، و بجهد من الأعضاء أعنف الخ.[1]

و مع كل هذا ترى علماء اللغة يميلون إلى تعليل التغيير اللغوي عن طريق العنصر الإنساني إذ هناك نواميس لغوية تتحكم بمصير اللغة و التي مردها في آخر الأمر إلى الإنسان ذاته و من بين هذه النواميس اللغوية:

- تغييرات في لفظ الحروف المصوتة (الحركات).
- تغييرات في لفظ الحروف الصامتة.
- تغييرات في المفردات من جهة المعنى و المبنى.
- تغييرات في التركيب.[2]

(1) السعران محمود: م.س، ص ص 205، 206.
(2) فريحة أنيس: م.س، ص 90.

مقدمة

المقدمة:

- دواعي اختيار الموضوع:
  - الموضوعية
  - الذاتية
- تحديد الإشكالية و الفرضيات
- الصعوبات التي واجهتني
- المنهج
- نقد المصادر و المراجع
- شكر و تقدير

المقدمة

يحق لكل إنسان دراسة أي مظهر من مظاهر السلوك الإنساني، و باعتبار اللغة أهم تلك المظاهر جميعا، فهي الأجدر من غيرها بالدراسة و البحث ما دامت تشكل ارتباطا وثيقا بالإنسان .[1]

و تمثل دراسة اللهجات أهم المجالات التي ركز عليها لغويو القرن الحالي اهتماماتهم، هذا ما شكل الدافع الأساسي إلى توضيح قضية العامية لكونها لغة قائمة بذاتها مستقلة بنظامها الصوتي و الصرفي، و التركيبي و الدلالي مع تبيان فوائد دراسة اللهجات، هذه الأخيرة حازت بعناية الأمم الراقية حيث عكفت على دراسة اللهجات الإقليمية و حرصت على تسجيلها و ضبط أحكامها و حفظ نماذج أدبية منها.

و يرى الدكتور "**أنيس فريحة**" [2] في دراسة اللهجات الإقليمية، عدا عن لذة المعرفة للمعرفة ذاتها، ثلاث فوائد:

أولا:

إذا كنا نسلم أن اللغة كائن حي يخضع لنواميس الحياة من نمو و هرم فليس أفضل من درس اللغة الحية (العامية) درسا موضوعيا لتفهم النواميس التي تعمل للحياة و النمو و الموت، و ذلك لأن العامية – عامية أي شعب – لغة حرة متطورة، و الفصحى – فصحى أي شعب – لغة كتابية مقيدة بقواعد ثابتة و مسيج لها بسياج شديد.

(1) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص 15، 16. بتصرف

(2) د.أنيس فريحة: اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل بيروت ط1 1409هـ – 1989م ص113،...،115

ثانيا:

نحن من الذين يؤمنون أن في العاميات أدبا شعبيا غنيا ازدرته الأرستقراطية الفكرية، و لكنه أدب منبثق عن روح الشعب و أحاسيسه، قد تكون الصياغة فيه بدائية لكن الصور و المعاني جميلة، هذا الأدب في صفوته غني بصوره، بنكاته، بدعاباته، بأمثاله و أقاصيصه، و خرافاته، فهو ذخيرة ضائعة و من الحمق أن يظل جوهره في التراب. و عندنا في الأدب العامي مادة للشعر و القصة و الموسيقى و إذا نحن حرصنا على درسه و جمعه و تنقيته فإننا قد نثري أدبنا.

ثالثا:

و نعتقد أيضا أن في العامية مظاهر لغوية، صرفية و نحوية، و معجمية، حرية بالدرس. و قد يكون في درسها إغناء للغتنا الفصيحة.

إن البحث في لهجة محلية أو في اللهجات بصفة عامة لازالت موضوعاته مادة خام بحاجة إلى الاستثمار الحسن للفائدة العلمية قبل كل شيء، يقول "**إبراهيم أنيس**" في كتابه: "اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة" [(1)] و دراستها تتطلب من الباحث القدرة على فهم القواعد الصوتية و الصرفية و النحوية والدلالية. و يعد هذا من الدوافع الرئيسية التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع المتعلق بلهجة سيدي بلعباس لكي نستطيع أن نلقي الضوء على المنطقة من حيث ما احتوته و ما تحتويه بداخلها من تراث و أصالة و لهجة يجعلها تتميز عن باقي المناطق الأخرى، و نلم بالجانب الصوتي و الدلالي مع الاعتماد على الدراسات الأنتروبولوجية و الإثنولوجية لكي نتوصل إلى شرح العلاقة بين اللغة و بين عقلية أو نمط التفكير للشعب الذي يتكلمها، مما يفسح لنا المجال إلى التعرف على انعكاسها على المميزات العرقية، و الأخلاق و المثل ومن ثم نظرة هذا الشعب إلى الحياة من خلال اللغة التي يتكلم بها.[(2)]

---

(1) أنيس ابراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 9، 1995 ص.....
(2) أنيس فريحة: نفسه

دواعي اختيار الموضوع:

في إطار هذا البحث الذي يندرج ضمن اهتمامات الأنتروبولوجيا اللغوية سأعكف على البحث عن أسباب بروز لهجة سيدي بلعباس، مبينة التطور التاريخي الذي شهدته المدينة منذ الاستعمار الفرنسي إلى الآن، حيث أن تميزها الجغرافي و ما توالى عليها من احتكاكات مختلفة ولد في لهجتها ألفاظا جديدة بحكم عملية التأثير و التأثر التي خضعت لها المنطقة.

إن لهجة سيدي بلعباس واحدة من اللهجات المحلية الجزائرية التي تمتاز بصفات مغايرة للهجات الأخرى و هذا من الناحية الصوتية و الدلالية خاصة.

و لهذا توصلت الدراسات اللسانية الحديثة إلى تصنيف اللهجة كونها لغة قائمة بذاتها لها قوانينها التركيبية و الصرفية و النحوية و الدلالية الخاصة بها. و يظهر مما سبق ذكره أنه لابد من توضيح العلاقة الوطيدة بين اللسانيات و التاريخ و الأنتروبولوجيا، و هذا لكون جميع التغيرات التي طرأت على اللهجة متعلقة بالتغيرات التي يخضع لها الفرد خلال فترة حياته من هجرات و انعزال و اختلاط بين الأجناس الذي بدوره يولد لنا لهجة مغايرة تماما عما كانت عليه في بادئ الأمر.

تحديد الإشكالية و الفرضيات:

طبيعة هذا الموضوع تدفعنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات التي يجب علينا الإجابة عليها بأكبر قدر ممكن من الموضوعية:

فانطلاقا من المعطيات المتوفرة، هل تعكس لنا لهجة المواطن العباسي شخصيته و هويته و بسيكولوجيته داخل محيطه الاجتماعي و الثقافي؟

هذا ما يقودنا إلى التساؤل حول:

1-ما أهمية الدراسات الأنتروبولوجية في معرفة الاختلافات التي تطرأ على اللهجة في وقتنا الحاضر؟

2-فيما تكمن أهم الاختلافات (الفوارق) التي تميز لهجة سيدي بلعباس عن بقيتها من اللهجات المحلية؟ و عليه توقفنا عند مجموعة من المحطات في التاريخ الثقافي للمدينة منها:

أ- العامل الجغرافي و تأثيره على نفسية المواطن العباسي مما يعكس لنا بعض الظواهر الصوتية و الدلالية الخاصة بالمنطقة، كذلك طبيعة العمران و المؤسسات المتواجدة بسيدي بلعباس سواء كانت تعليمية أم ثقافية أم دينية تلعب دورا هاما في تكوين المجتمع العباسي و تمييزه عن باقي المجتمعات.

ت- الارتباط الوثيق بين المراحل التاريخية التي خضعت إليها المنطقة و طبيعة اللهجة المتداولة مع تأثير الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية على عقلية الشعب هو الذي أدى إلى ظهور الاختلافات الصوتية و الدلالية التي تمتاز بها لهجة سيدي بلعباس.

المنهج:

يظهر مما سبق أن البحث في اللهجات كظاهرة إنسانية يفرض علينا التعرض إلى نشأتها و مراحل تطورها و عوامل انتقالها من حالة إلى أخرى. و إنه لا يخفى عن الباحث إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المناهج المتبعة لدراسته، و لكي يتسنى لنا البحث في لهجة سيدي بلعباس بصفة موضوعية و عقلانية، ارتأينا أن نتبع المنهج التاريخي و المنهج الوصفي. فبينما المنهج التاريخي هو الوسيلة الأنسب لدراسة اللغة من خلال تغيراتها المختلفة و ذلك حتى أقدم عصورها التي نملك منها وثائق و نصوصا لغوية، المنهج الوصفي يسمح لنا بوصف ما في اللهجة من ظواهر لغوية مختلفة و تسجيل الواقع اللغوي تسجيلا أمينا، و من هنا نجد أن المنهجين يدخلان في شكل انسجامي تعاوني مثمر.

" إذا كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، و لعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية، فمن الصعب كثيرا الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العلمي، و ذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العلمية للاستعمال مع الفرع التاريخي " [(1)]

و اعتمادا على هذا فقد قسمنا هذا العمل إلى مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول.

تناولنا في المقدمة عرضا أو مسحا للموضوع وقوفا على التساؤلات المطروحة و الفرضيات المقترحة كما فصلنا فيها خطة البحث و المنهج المتبع مع نقد المصادر و الصعوبات التي واجهناها خلال البحث و أخيرا كلمة شكر و تقدير لكل من ساعد من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

تعرضنا في المدخل التاريخي إلى اللهجات و اللغات، حيث بدأنا بتحديد مفهوم اللهجة ثم تطرقنا إلى علم اللهجات كمجال خاص لدراسة لغة المجتمع كما ارتأينا أن نبين علاقته بالأنتروبولوجيا كونها علم عام يشمل كل ما يتعلق بالإنسان و علاقته بعلم الأصوات الذي يزودنا بكل النتائج الخاصة بالفوارق الصوتية التي تعد أهم أسباب ظهور اللهجات.

ثم في الفصل الأول: سيدي بلعباس سكان و مدينة ارتأينا أن نلقي الضوء على الجغرافيا الطبيعية و البشرية ثم منطقة سيدي بلعباس عبر التاريخ.

كما تعرفنا على منطقة بني عامر، و أشهر قبائل سيدي بلعباس: أولاد سليمان و المهاجة و البوازيد و أولاد سيدي علي بن يوب، و أولاد سيدي إبراهيم، ثم إلى الحياة اليومية لهته القبائل حيث تعكس لنل هته الأخيرة طريقة عيشهم و تفكيرهم و معاملاتهم مع غيرهم و بالتالي تصرفاتهم اللغوية داخل المجتمع العباسي.

و ارتأينا في هذا الفصل أن نشير إلى الثقافة المحلية للمنطقة بين الشعر الملحون و الزوايا والكتاتيب و دور المكان الجغرافي الذي يؤثر في التكوين اللغوي حيث أن تواجد المدينة بين مدينتي تلمسان و وهران و الصحراء يدفعنا إلى دراسة عمليتي الاحتكاك و الاتصال مع الهجرة و النزوح الريفي، دون أن ننسى وسائل الإعلام السمعي و المرئي.

---

(1) ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 176.

في الفصل الثاني قمنا بالدراسة الصوتية للهجة سيدي بلعباس، و أخذنا كمادة أغاني "**راينا راي**" نموذجا، و التي نراها تجسد اللهجة العباسية من جميع جوانبها و فيها قمنا بدراسة التطور التاريخي للأصوات، كما تطرقنا إلى مخارج الأصوات و صفاتها دون أن نهمل التشكيل الصوتي و الدراسة فوق التركيبية و في الأخير التغيرات الصوتية التي تخضع لها الكلمات في إطار التعامل اليومي.

أما الفصل الأخير فقد خصصناه للدراسة المعجمية للهجة سيدي بلعباس حيث أنها شملت دراسة المعنى وصفيا و دلاليا وبينت صعوبة تحديده و الخلاف القائم حوله مع قصور المعنى المعجمي، و أبرزت كيف يتغير المعنى حسب ظروف صدور الكلام مرافقة هذه الدراسة بأمثلة حية مأخوذة من أغاني "**راينا راي**" و بعض اللقاءات التي أجريناها مع "**لطفي عطار**" قائد الفرقة و زوجته لكي يتسنى لنا فهم القصائد و الألفاظ من حيث عمق الدلالة و تنوع المعاني.

نقد المصادر و المراجع:

يعتبر البحث في علم اللهجات مجالا لا يزال خصبا، و هذا ما يجعل الباحث يقف عاجزا أمام قلة المراجع و ندرتها في المكتبات، كما أن معظم المراجع، عربية كانت أم أجنبية تهتم بالدراسات اللسانية بصفة عامة، و تمنح فصولا قليلة لدراسة اللغة المنطوقة أو اللهجة بصفة خاصة.

و بالنظر إلى تعدد الجوانب في الموضوع، تطلب منا اللجوء إلى مصادر و مراجع متنوعة حسب طبيعة الإختصاص الذي تدخل في إطاره.

و لقد قسمناها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى تتضمن المصادر و المراجع اللسانية و من أهمها كتاب ابراهيم أنيس في اللهجات العربية حيث أخذنا منه أهم مراحل تطور اللهجات و طريقة دراسة التغيرات اللفظية و الدلالية للهجة ما. كما اعتمدنا أيضا على كتاب ماريو باي، أسس علم اللغة، و أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة لنايف خرما، و غيرهم من الكتب القيمة التي كانت أحسن دليل و موجه لتعبيد طريق دراستنا لهذا الموضوع.

أما المجموعة الثانية فتشمل المصادر و المراجع التاريخية التي بينت لنا تاريخ المنطقة ككتاب:

ADOU Leon: Sidi Bel Abbès, Légende, Histoire, Anecdote 1927

كما اعتمدنا في دراستنا على كتاب المقدمة لابن خلدون الذي يشرح لنا أيام العرب و اختلاطهم بالعجم و البربر و تأثير ذلك على نمط عيشهم.

صعوبات البحث:

قبل أن يخرج هذا البحث بالصورة التي هو عليها، قد اعترضتني صعوبات لم تضعف من عزيمتي في الإصرار على مواصلة هذا العمل، و منها: قلة المراجع المتخصصة و التي تعالج الموضوع بصورة مباشرة، و كذا توقفي عن البحث لمدة طويلة وصلت العام بسبب ظروف صحية صعبة ألمت بي، و لولا مثابرتي و إرادتي الفولاذية التي كانت لي ملاذا عن كل هذا لانقطعت عن البحث.

شكر و تقدير:

لا يسعني و أنا أضع اللمسات الأخيرة للبحث إلا أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد و أخص بالذكر الأستاذ المشرف "**تيجيني بن عيسى**" على توجيهاته و نصائحه.

سيدي بلعباس في 2005/05/20.

الفصل الأول

سيدي بلعباس جغرافيا و بشريا

1) سيدي بلعباس: المدينة

1).1. الجغرافيا الطبيعية و البشرية

1).2. منطقة سيدي بلعباس عبر التاريخ

2) منطقة بني عامر

2).1. قبائل بني عامر

2).2. الحياة اليومية لقبائل بني عامر

2).3. الحياة العلمية لقبائل بني عامر

3) الثقافة المحلية:

3).1. الشعر الملحون

3).2. الزوايا و الكتاتيب

1) سيدي بلعباس: المدينة

1).1. الجغرافيا الطبيعية و البشرية:

تمتد مدينة سيدس بلعباس داخل السهول الغربية للجزائر ما بين وهران و عين تيموشنت شمالا و تلمسان غربا و النعامة و سعيدة جنوبا و معسكر شرقا على مساحة قدرها 915063 كلم^2. بعد التقسيم الإداري العام 1974 أصبحت ولاية انفصلت عنها عين تموشنت العام 1984. تضم 15 دائرة و 52 بلدية أهمها:
سيدي بلعباس، سيدي لحسن، تسالة، سفيزف، تنيرة، عين البرد، مصطفى بن ابراهيم، ابن باديس، سيدي علي بن يوب، سيدي علي البوسيدي، رأس الماء، مرحوم، تلاغ، مرين، مولاي سليسن.(1)
تحتل موقعا طبيعيا هاما، بسلاسل جبلية تصل إلى 225037 كلم أي 24% من مساحة الولاية الإجمالي هي جبال تسالة و بني شقران مناخها ينتمي إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط "القاري" يمتاز بالبرودة شتاءا و الحرارة و لجفاف صيفا، مع تسجيا هبوب رياح السيروكو.(2)

يعتمد اقتصاد المنطقة على الزراعة و تربية الحيوانات أما الصناعة فلم يكن لها حظ يذكر حتى بداية السبعينات استفادت الولاية من مؤسسات و مركبات صناعية غيرت من نمط و سلوك و حياة السكان.

قدر عدد سكان الولاية حسب إحصائيات 1995 ب 532000 نسمة و قد عرفت المدينة توسعا عمرانيا ملحوظا امتد من 1860 إلى الآن.

1- 1860-1900

(1) مكحلي محمد: سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية، دراسة تاريخية أنتروبولوجية، جامعة تلمسان 2000، ص 14.
(2) نفسه.

2- 1900-1930
3- 1930-1954
4- 1954-1960
5- 1960-1972
6- 1972-1993
7- 1993 إلى الآن.[1]

1).2. منطقة سيدي بلعباس عبر التاريخ

يعتقد البعض أن المدينة حديثة و مع تصفح أخبار الرحالة و الجغرافيين، مر بالمنطقة حسن الوزان "بليون الإفريقي" فأشار إلى السهل الموقع الجانب الاقتصادي بقوله "تسالة مدينة عريقة في القدم بناها الأفارقة في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا و ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب و يعيش أهل تسالة تحت الخيم لأن المدينة خربت لكن مازال السهل يحمل اسمها و يؤدون هم أيضا خراجا مرتفعا إلى الملك".[2]

عمرت المنطقة قبائل بني عامر من أحلاف الهلاليين القادمين معهم في منتصف القرن الخامس الهجري -5ه- بعد أن حركتهم الدولة الفاطمية. بعد انتقالها إلى بلاد المغرب و قد أثرت في الحياة الاقتصادية للمنطقة تأثيرا ملحوظا. فقد نقلوا إلى البلاد خبرتهم الطويلة في تنمية الثروة الحيوانية[3] و الإنتاج الصناعي.

(1) الوكالة الوطنية للتهيئة العمرتنية 1997.
(2) الوزان حسن: وصف إفريقيا ت/ محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 ص 65.
(3) الدولة الفاطمية: 297 – 567 هـ / 909 – 1171 م

و من جهة أخرى يشير "ابن خلدون" إلى بعض علمائهم من الصوفية الذين أسسوا الزوايا[(1)] و شيدوا المساجد و نشروا الكتاتيب أما "عبد الرحمن الجيلالي" فيقول عنهم "العوامر" نسبة إلى جدهم عامر بن ابراهيم بن زغبة الهلالي و هم إخوة لبني سعد بن بكر بن هوازن.[(2)]

قاومت قبائل بني عامر الحملات الصليبية الإسبانية بعدها انضمت إلى جيش الأمير عبد القادر. و أمام صمود قبائل بني عامر اضطر الجيش الاستعماري إنشاء مركز عسكري إمامي على مقربة من قبة ضريح "الولي الصالح سيدي بلعباس البوزيدي".[(3)]

و قد نوه الشعراء بهم و بشجاعتهم قائلين:

تسربلت كردوسين من آل عامر
و من آل إدريس الشريف ابن القاسم
رجال إذا جاش الوطيس تراهم
أسود الوغى من كل ليث ضارم
و ولت سويد ثم خلت مجيرها
و شيخ حماها في الثرى أي جاثم[(4)]

(1) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، دار الكتاب اللبناني 1981، ج 3، ص278.
(2) الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج 2، 1955، ص 166.
(3) مكحلي محمد: م. س، ص 22.
(4) نفسه.

2) منطقة بني عامر:

2).1. قبائل بني عامر

تقديم:

يعتبر تاريخ المنطقة قديم رغم محاولات الطمس الاستعماري التي تعرضت لها، تدل الآثار التي عثر عليها في مناطق "بوصي" "وادي سفيون" "ترومبل" "تسالة" على وجود إنسان "عصر النيوليتي".[(1)]

إن بربرية المنطقة يمكن لمسها في أسماء تامناطق "تيغاليمات" "تيلوين" "مغرمان" أما المناطق الرومانية مثل "Albulac" "Astacilys ".[(2)]

أما الرحالة الادريسي فيشير إلى أنه كان هناك مجمع سكاني بالقرب من جبال "تسالة" و الذي كان بمثابة مراقب ميدانية عسكرية منها "عين بنت السلطان" و "عين زطيطية" التي كانت تسمح للرومان من حراسة و مراقبة سهول مكرة و ملاثة معا.[(3)]

تعتبر قبائل بني عامر قبائل هلالية قدمت إلى بلاد المغرب تنحدر من "عامر بن زغبة الهلالي" حينما أراد "يغمراسن" أن يقاوم فساد عرب "المعقل" نقل بني عامر بجوار تلمسان ليتولوا ذلك و استقروا هناك "يرحلون إلى قفارها في المشاتي و يعودون إلى التلول في المرابع و المصايف" على حد قول ابن خلدون.[(4)]

بطونهم ثلاثة بنو شافع بن عامر، بنو حميد بن عامر، بنو يعقوب بن عامر و من بني شافع بنو شقلرة بنو مطرق و من بني حميد بنو عبيد بنو عقيل بن عبيد (الحجز) و منهم حجوش و هجيش و من حجوش حامد و مجمد و رباب بن محمد و من محمد بنو ولاد بن محمد (الولالدة) بنو عامر رباب بن مسعود بن شراد بن محمد و من حامد بنو رباب المعروفين في القرن الثامن الهجري و الذين خلفوا خلاف من (المحارزة) في رياسة بني حميد بن عامر و من رباب بنو علي بن عثمان بن سلطان بن وادونين بن عبد الله بن

---

(1) AINED TABET Redouane : Sidi Bel Abbés des mythes fondateurs. Revue, Insaniyat 1997,n°3, p9.

(2) مكحلي محمد: م. س، ص 28.

(3) الإدريسي أبي عبد الله الشريف: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية 1983.

(4) ابن خلدون: م. س، ص 287.

رباب و من بني يعقوب بن معرف بن سعيد بن رباب بن حامد عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب.(1)

سكنت قبائل بني عامر ما بين أرض "مزاب" جبل راشد(2). و اتصلت مجالاتهم إلى حدود 1747م، فانتقل بعضهم أيام عهد عثمان باي إلى سهول ملاتة و يقال لهم اولاد عبد الله إما القبائل التي مكثت ببلاد تاسلة نذكر قبائل اولاد ابراهيم، الحجز ، اولاد سليمان، و الخوالد و اليعقوبيون هاجرت عدة بطون من هذه القبائل إلى المغرب الأقصى و كذلك إلى مواطن أخرى من الجزائر.(3)

حسب ما يذكره أحمد العشماوي في كتابه السلسلة الوافية من أن الخوالد من سيدي خالد خلف أربعة أولاد (محمد و احمد و علي و عبد الله) فأما احمد انتقل إلى وادي مكرة و استقر على شاطىء الواد و ذريته يقال لها الخوالد أما الإخوة الثلاثة فاستقروا بجبل عمور.(4)

1) اولاد سليمان:

انتقل الرجل الصالح سيدي سليمان إلى قبائل بني عامر بأراضي سفيزف و خلف سبعة أولاد (يوسف، و عبد الله، و عبد الرحمن، و عبد العظيم، و عبد الجبار، و عثمان، و محمد) أما يوسف و عبد الله انتقلا إلى رنوغة و عبد الرحمن و عبد العظيم إلى القليعة أما عبد الجبار انتقل إلى "فنجيغ" و أما عثمان فبقي في سفيزف.

2) امهاجة:

نسبة إلى سيدي ميمون بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عيسى بن الحسين تجتمع فيه شرفاء إدريس بن إدريس.

(1) الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 1983، ج 2، ص 201.
(2) جبل عمور.
(3) الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ص 166.
(4) مكحلي محمد: م. س، ص 30.

3) البوازيد:

سيدي بوزيد أصله من مكة المكرمة ترك أربعة أولاد فخلف عبد بن أبي زيد أيضا أربعة أولاد و هم عثمان و هلال و بختي و عبد الرحيم و هم أهل وادي مكرة منهم فرقة في "جرنار" قرب مدينة وجدة المغربية يقال لهم اولاد بوزيد و منهم فرقة في بوحنش.

4) اولاد سيدي علي بن يوب:

هم الشرفاء الأيوبيون النازلون بواد مكرة من بلاد بني عامر من زغبة و يعرفون بأولاد سيدي علي بن يوب الذي قبل نزوله ببني عمر بمكرة مع أخيه ميمون بزاويتها بأرض المبطوح فخرج من بينهم علماء و أولياء.

5) اولاد سيدي ابراهيم:

هو سيدي ابراهيم المعراوي دفين وادي مكرة هو بن مولاي يعقوب الشريف له أولاد يقال لهم اولاد ابراهيم منهم في غريس و في ولهاصة، و تلمسان و جبل ترارة، و جبل بني زناسن بالمغرب الأقصى.

2).2. الحياة اليومية لقبائل بني عامر

1) الطعام:

اعتمدوا في طعامهم على الأنعام يصفهم ابن خلدون "و نجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين الحبوب و الأنعام من أهل القفار أحسن حالا في أجسامهم و أخلاقهم من أهل التوكل المنغمسين في العيش فألوانهم أصفى و أبدانهم أنقى و أشكالهم أتم و أحسن و أخلاقهم أبعد عن الانحراف و أذهانهم أتقن في المعارف و الإدراكات".[(1)]

[(1)] مكحلي محمد: م. س، ص 33.

2) الملبس:

كانوا سواسية في لبس المخيط تمثل في رداء على ظهورهم، كان الملبس متفاوتا بتفاوت المراتب الاجتماعية.

3) المسكن:

كان مسكنهم في الخيام من الوبر و الصوف يسهل فكها عند سفرهم و ترحالهم و عند غزواتهم و حروبهم ثم تحولت إلى الكثان تصنع منها بيوتا مختلفة الأشكال و الألوان تميزا بالتقلب في صحاري و قفار تلمسان جنوبا مع اللجوء إلى التل في الربيع و الصيف بسبب أنعامهم.[1]

2).3. الحياة العلمية لقبائل بني عامر

اقتصروا على تعليم القرآن الكريم ككل أهل المغرب الأوسط أسسوا الزوايا نشروا الكتاتيب أما الشعر فاقتصروا على الملحون و هو إن كان خاليا من الإعراب فهو يحتوي على أنواع بلاغية و أصناف، صنف الحكم و ضروب الأمثال و بهذا صار الملحون شريكا في المحاسن شقيقا للموزون من ذلك بعض العلماء و الأعلام الذين نظموا الشعر الملحون مثل أبي ساكن بن محمد بن عسكر الهلالي وصولا إلى مصطفى بن ابراهيم.[2]

3) الثقافة المحلية:

إن موضوع الثقافة المحلية (الشعبية) يؤدي بنا إلى طرح السؤال حول ما إذا كانت اللغة الفرنسية قد أفسدتها أم أن الذي أفسدها هو ما آل إليه المجتمع من نزوح و تدهور و ما وصلت إليه المدينة من توسع عمراني.[3]

---

(1) مكحلي محمد: م. س، ص 33.
(2) 1800 – 1867، شاعر قبائل بني عامر.
(3) الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة و المجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 ت/ حنفي بن عيسى ص436.

و في هذا الصدد عبر مصطفى الأشرف بوضوح عن هذه الإشكالية المتمثلة في إفساد اللغة الدارجة المنجر عنه الوضع العام للمجتمع من فقر و هذا المجتمع كان في حاجة إلى عقلية جديدة و لغة يعبر بها عن هذا العهد الجديد.(1)

إن بوادر الثقافة المكتسبة عن طريق التعلم العفوي ثقافة متركزة على الحرف و التقنيات البسيطة، و مما لا شك فيه أن أية ثقافة و حتى لو لم تكن من ثقافات العصر الوسيط، إذا كانت تلتمس طريقها بالالتفات إلى الوراء و الابتعاد عن الحداثة و المعاصرة فإنها لن تقيم أي اعتبار لما يجد من جديد في الخارج و لا تتخذ الثقافات الأخرى لها قدوة لأن الاحتياجات المختلفة لكلا الطرفين.(2)

3).1. الشعر الملحون:

كان الملحون و لا يزال مرآة صادقة تعبر عن نبض الثقافة المحلية الشعبية و قد وصفه ابن خلدون "إنه و لو كان خاليا من الإعراب فهو يحتوي على أنواع بلاغية و أصناف، صنف الحكم و ضروب الأمثال و بهذا صار الملحون شريكا في المحاسن شقيقا للموزون".

تزخر منطقة سيدي بلعباس بعديد شعراء الملحون الذين جسدوا أحلى و أروع القصائد مثلت ملاحم للمنطقة و وصفت مآثرها كأبي ساكن بن محمد بن عسكر الهلالي، مصطفى بن ابراهيم، احمد ولد الزين، مصطفى بن الحراث إلخ.

3).2. الزوايا و الكتاتيب و المدارس:

-الزوايا

عبارة عن مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأشكال و الأحجام تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد و غرف لتحفيظ القرآن و تعليم العلوم الإسلامية، مؤسسوها رجال

---

(1) م. س.
(2) نفسه.

دين متصوفون متزهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن 2هـ على يد رابعة العدوية ثم ابن زيد طيفور البسطامي الفارسي، و أبي القاسم الجنيد العراقي و الحلاج، و أبي حامد الغزالي و محي الدين بن عربي.(1)

كغيرها من المناطق الأخرى توجد بسيدي بلعباس عدة زوايا منها ما يتبع الطريقة القادرية و منها ما يتبع الطريقة التيجانية و الزوايا الأخرى تابعة للطريقة الدرقاوية و فرعها الهبرية.(2)

إن أغلب هذه الزوايا خلواتية يتخذ أصحابها و أتباعها "وردا" خاصة من الأذكار يتلونها وراء الصلوات و ينشطون في تعليم القرآن للأطفال و القيام بتعليم بعض العلوم الدينية و اللغوية و ممل يذكره "رضوان عيناد ثابت" في كتابه(3) إن الزوايا كان لها اكبر عدد من الإخوان هي الزاوية القادرية التي ينتمي إليها قلائل بني عامر بالإضافة إلى التيجانية.

– القادرية: منتشرة في كل القطر منها سيدي بلعباس.

– التيجانية: لها فرعان رئيسيان عين ماضي و تماسين تمثلها في سيدي بلعباس عائلة "الغول".

– الدرقاوية: فرع العلاوية تمثلها عائلة "شوكشو"، فرع العبرية تمثلها عائلة "يسعد".(4)

– المدارس:

إن أهم ما يميز سيدي بلعباس خلال مرحلة ما بين الحربين العلميتين هو التنافس الحاد بين الأحزاب السياسية و الحركة الإصلاحية و هذا لتجنيد الشعب وراءها دفاعا عن القضية الوطنية. و كان لدور القيادات المحلية أثره في نشأة هذه المدارس ضف إلى ذلك نشاط الحركة الإصلاحية إن ما يميز سكان المدينة، تكريمهم للفقهاء و تقديرهم للعلماء و الصلحاء و تشجيعهم لرواد العلم و تقديم يد العون و المساندة لهم و عليه فإن بناء مدارس حرة كان مسبوقا بمنشآت تربوية و ثقافية و منها:

---

(1) مكحلي محمد: م. س، ص 65.

(2). AINED TABET Redouane: Sidi Bel Abbés de la colonisation à la guerre de libération, Edition Enag1999 p140

(3) نفسه.

(4) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج 4، ص 294.

- مدرسة التربية و التعليم:

أنشأت سنة 1942 و تم نهاية الشغال بها سنة 1945. لعبت دورا فعالا في تحرير العقول من التقاليد و التبعية و فك قيود الجهل و الأمية، و تطهير العقيدة من البدع و الضلالات.

- مدرسة النصر:

هذه المدرسة تابعة لحركة انتصار الحريات الديموقراطية "***" أنشأت سنة 1952 تقع في حي "سي عبد الكريم" "عبو" سابقا تمثلت مهمتها في تدريس اللغة العربية و إقامة الصلوات الخمس، استطاعت أن تؤدي ولضيفتها إلى أن أدركتها حرب التحرير فعاقتها عن مواصلة مهامها، لتفرق المناصرين و المناضلين للعمل الثوري.

- المساجد

-المسجد العظم

يعتبر هذا المسجد معلما تاريخيا و حضاريا للمنطقة تأسس العام 1884 و تمت توسعته سنة 1961 مر به علماء و فقهاء و كان قبلة لطلاب العلم من جهات مختلفة و أعمار متفاوتة و مستويات متباينة.(1)

أشرف على التدريس به عدة علماء من ذلك يذكر أبو القاسم سعد الله. إنه في سنة 1905 كان يدرس فيه "بوعلي الغوتي" البالغ من العمر انذاك 27 سنة و كان متخرجا من القسم العالي بمدرسة الجزائر بعدها انتقل للتدريس بالجامع الكبير بتلمسان العام 1907 و يشير أن الذي خلفه سنة 1908 هو عبد الحق بن منصور لكنه دعي لوظيفة أستاذ في السنغال إلى غاية 1911 حيث كان المدرس "الحبيب المالكي" خريج مدرسة الجزائر، و في بداية ثلاثينات القرن العشرين تطوع للتدريس فيه "أحمد البدوي بويجرة" مفتي الديار العباسية و الشيخ البشير بويجرة أمام المسجد إلى غاية وفاتهما حيث أشرف عليه عدة أئمة.(2)

(1) أبو القاسم سعد: م. س، ص 120.
(2) أحمد الأزرق: النهضة الأصلية في منطقة سيدي بلعباس، منشورات المجلس الشعبي الولائي 1998، ص 24.

- الكتاتيب

الكتاب هو المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى و تربيته الأساسية على يد "الطالب". و يطلق على الكتاب القرآني أسماء عديدة اشهرها على الإطلاق و الأبقى على الألسن "الجامع".[1]

لعبت هذه الكتاتيب القرآنية في منطقة سيدي بلعباس دورا فعالا في تأصيل الثقافة الإسلامية في النفوس ة تحصين التراث القومي في سلوك الماس من عادات و تقاليد عن طريق تحفيظ القرآن الكريم لطلابها و ترويضهم على أداء الفرائض و السنن في أوقاتها تعميق الشعور الديني الفطري المكتسب.

كان العديد من الدارسين في هذه الكتاتيب القرآنية و بعض الزوايا قد أصبحوا أطرا في وزارة التربية و التعليم و وزارة الشؤون الدينية بعد الاستقلال.[2]

مدينة سيدي بلعباس:

حي الأمير عبد القادر (القرابة):

1) الشيخ البشير بن سليمان المتوفى سنة 1937م. تخرج على يده العشرات من الفقهاء.
2) الشيخ أحمد بالناعوم المتوفي سنة 1926م.
3) الشيخ السهلي في الأربعينات انقطع عن التدريس.
4) الشيخ أحمد بن جفال في الخمسينات انقطع عن التدريس.
5) الشيخ دحو بويجرة استشهد إبان الثورة التحريرية.
6) الشيخ بخالد بن كابو درس العلوم الإسلامية في مسجده أكثر من نصف قرن، ثم خلفه ابن حامد بن كابو بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في الخمسينات.

(1) أحمد الأزرق: الكتاتيب القرآنية في منطقة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس 2002.
(2) نفسه.

7) الشيخ المفتي احمد البدوي بويجرة، و الإمام الشيخ البشير بويجرة توليا تدريس العلوم الإسلامية من يوم تتصيبهما بالمسجد الأعظم.[1]

حي بن مهيدي (قمبيطة):

8) الشيخ عبد القادر بغداد في العشرينلت انقطع عن التدريس.
9) الشيخ بن يامينة في الثلاثينات انقطع عن التدريس.
10) الشيخ لاليمي محمد بخمالة في الأربعينات انقطع عن التدريس.
11) الشيخ عبد القادر بلهاشمي الأزرق من سنة 1936م إلى ما بعد الاستقلال.
12) الشيخ محمد بن زيان في الخمسينات انقطع عن التدريس.

حي بن بولعيد (كاياصون):

13) الشيخ معزوز النتوفى سنة 11917م.
14) الشيخ السماحي بن الرميل الملقب بإبن عيسى المتوفى سنة 1942م.
15) الشيخ محمد زحماني في الخمسينات إلى ما بعد الاستقلال.[2]

حي عبد الكريم (فيلاج عبو):

16) الشيخ معزوز مولاي أحمد من سنة 1933 على ما بعد الاستقلال.
17) الشيخ ابن عبو الجيلالي توفي بعد الاستقلال.

حي زبيدة عبد القادر (سيدي بلعباس):

18) الشيخ الهاشمي بن عبو من مطلق القرن 20 إلى وفاته، فخلفه ابنه الشيخ الهاشمي لمتوفى في الخمسينات.
19) الشيخ بومدين بن عيسى الملقب بالدوبلي في الخمسينات لقي ربه.[3]

---

(1) أحمد الأزرق: م. س، ص 107.
(2) نفسه.
(3) نفسه.

حي سيدي ياسين:

20) الشيخ محمد كعبي الملقب بابن قندوز.

21) الشيخ عجال محمد

حي بومليك (الكامبو):

22) الشيوخ التالية أسماؤهم:

عدة بن ضنية بوزيان، و عسال الزلماطي، و المهني، و البشير بن علمه، و البيدري بلحاج، و البكاري بن زحزوح، الشيخ ادريسي العلى بدا تدريس العلوم افسلامية في مسجده من سنة 1936م إلى ما بعد الاستقلال.(1)

(1) أحمد الأزرق: م. س.

الفصل الثاني

الدراسة الصوتية للهجة سيدي بلعباس

1) التطور التاريخي للأصوات
2) مخارج الأصوات
3) صفات الأصوات
4) التشكيل الصوتي
5) التغيرات الصوتية
6) الدراسة فوق التركيبية

1) التطور التاريخي للأصوات:

يشير الباحثون عادة إلى اللغة، و تطورها على مرور الزمن، بان اللغة كائن حي، يخضع للتطور و التغيير من جيل إلى آخر. فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها، و المحافظة على خصائصها، لأن اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية، تؤديها عضلات خاصة و يتوارثها الخلف عن السلف. غير أن تلك العضلات لا تؤدي تلك العادات الصوتية بصورة واحدة في كل مرة؛ بل قد يلحظ عالم الأصوات بعض الفروق الدقيقة بين نطق أبناء اللغة الواحدة، في البيئة الواحدة. فإذا تراكمت تلك الفروق الدقيقة، و تبلورت مع مرور الزمن، أصبحت من الوضوح بحيث لا تدع مجالا للشك في أن لغة الخلف تغاير لغة السلف في أصواتها بعض المغايرة.

و قد يبدو التطور الصوتي بين لغة الخلف و السلف في بعض الأحيان ضئيلا. و ذلك لأن الوسيلة التي لدينا للكشف عن خصائص لغة الأجداد، هي الكتابة، و مل سجل من كلام السلف، و لكن الكتابة وسيلة ناقصة للتعبير عن اللغات، لهذا لا تظهر لنا الكتابة القديمة كل الخصائص الصوتية في لغة القدماء.**(1)**

و من بين عوامل تطور الأصوات:

1- اختلاف أعضاء النطق

يقول بعض العلماء أن تغير الأصوات ليس إلا نتيجة تطور عضلي في أعضاء النطق. فقد تبع الاختلاف في تكوين أعضاء النطق، تغير في الأصوات، و هذا الفعل لم يستطع أحد من علماء التشريح البرهنة عليه، بل لقد برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان، تتحد في جميع تفاصيلها، من وجهة نظر علم التشريح، و الفرق يكمن في كيفية تملك النفس و السيطرة على ما يندفع في الرئتين من هواء. و مصدر السيطرة على التنفس و ضغط الهواء المندفع من الرئتين هو في آخر الأمر المخ. فالأمر إذن ليس مرجعه في الحقيقة إلا إلى الناحية العقلية أو السيكولوجية.

و لسنا نعني بتطور الأصوات في اللغة، أن القديم منها يفنى فناء كليا دون أن يترك أثرا له، أو أن أصواتا جديدة لا وجود لها من قبل تنمو و تنتشر في الكلام، و إنما

الذي نعنيه هو أن الأصوات القديمة تنتقل من مخارجها و تستعمل في مخارج جديدة، أو يبطل استعمالها في مكانها الأصلي.**(1)**

2- البيئة الجغرافية:

من المحدثين من يجعلون للطبيعة الجغرافية لبيئة اللغة أثرا كبيرا في نوع التطور الذي قد يصيب هذه اللغة، و أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، و يتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة.
و البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالا متغايرة في تطور لهجتها، فليس الانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون اللهجات بل يجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي، و اختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة، فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية.**(2)**

3- الحالة النفسية:

بعض العلماء يرجعون تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة، أو العكس، إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب. فحين يميل إلى الدعة و الاستقرار، تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، فإذا اعتز بقوته و جبروته مال إلى العكس. و هذا يتماشى مع ما نعرفه عن اللهجات العربية القديمة و ميل البيئات المحتضرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة، في حين أن البيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشديدة.

4- نظرية السهولة:

تنادي هذه النظرية بأن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، فهو يحاول عادة الوصول إلى غرضه من أقصر الطرق كلما أمكن ذلك.

و لقد أوضح لنا مؤيدوا هذه النظرية أن هذا التطور غير إرادي، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم، و دون أن يعمد إليه قصدا.
كما قد تكون هذه النظرية أحد العوامل ذات الأثر البين في التطور الصوتي. فقد كان القدماء من مؤلفي اللغة العربية، يشيرون إلى هذه النظرية في ثنايا كتبهم، إشارات مبهمة غامضة. حين ربطوا كثيرا من التطورات الصوتية في اللغة العربية، إلى مل سموه ثقل الصوت أو خفته، فقد نسبوا الخفة إلى الفتحة، و الثقل إلى الضمة و الكسرة.

5- نظرية الشيوع:

تقرر هذه النظرية أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها. فالصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام، كان عرضة لظواهر لغوية، كان القدماء يسمونها حينا إبدالا، و حينا آخر إدغاما. هذا و قد يتعرض الصوت الكثير الشيوع للسقوط من الكلام.

6- مجاورة الأصوات:**(1)**

و لهذه الظاهرة قوانين عامة هي:
- إذا التقى صوتان أحدهما مهموس و الآخر مجهور، تغير أحدهما ليصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين.
مثال: صيغة افتعل من الفعل زاد هي ازداد بدلا من إزتاد. و هكذا يتم الإدغام.

- تميل الأصوات الغربية في مجاورتها إلى الانسجام في صفتي الشدة و الرخاوة. فإذا تجاور صوتان، أحدهما شديد و الآخر رخو، غلب أن تتغير صفة أحدهما، ليصبح الصوتان شديدين أو رخوين.
- الانسجام بين صوت الفم و صوت الأنف المتناظرين إذا التقيا.
مثال: التقاء الباء بالميم أو الميم بالباء "امبارح" ← "ابّارح".

– قد يستلزم الانسجام بين الأصوات المتجاورة، و الاقتصاد في المجهود العضلي حين النطق بها، انتقال مخرج أحد الأصوات من مكانه. و هنا يجب أن نقسم المخارج الصوتية إلى مخارج أو مناطق يحدث بها الانتقال:

أ) أصوات شفوية كالميم و الباء و الفاء

ب) أصوات لسانية و هذه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

1) المجموعة الكبرى و أفرادها: الذال، الثاء، الظاء، الدال، الضاد، التاء، الطاء، اللام، النون، الراء، الزاي، السين، الصاد.

2) أصوات وسط الحنك: الجيم و الشين.

3) أصوات أقصى الحنك: الكاف و القاف.

ج) أصوات حلقية و هي: الغين، الخاء، العين، الحاء، الهاء، الهمزة.

و من بعض الأمثلة عن التطور التاريخي للأصوات ما طرأ من اختلاف في صوت الضاد ة القاف و الطاء فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال، و أصبحنا الآن لا نفرق بين الدال الضاد إلا في الإطباق. كما أن كلا من القاف و الطاء القديمتين قد أصبح مهموسا في نطقنا الحديث، بعد أن كانتا مجهورتين.

هذا إلى أن أصواتا أخرى من أصوات اللغة العربية قد أصابها نوع من التطور التاريخي، فقد تطورت الجيم العربية الفصيحة إلى الجيم القاهرية الخالية من التعطيش، و ليس لهذا ما يبرره سوى انتقال المخرج من مكانه إلى الوراء حتى أصبح من مخرج الكاف، فكانت الجيم القاهرية التي هي صوت شديد مجهور، نظيره المهموس هو الكاف.

و كذلك ينطق بالذال العربية "دالا" في لغة الكلام المصرية و أحيانا زايا. فما أصاب الذال في الحالتين هو انتقال مخرجها قليلا إلى الوراء، غير أنه في الحالة الأولى قد أصبحت صوتا شديدا، و في الثانية احتفظت برخاوتها.

و تطورت "الثاء" في لغة الكلام المصرية إلى "تاء" في معظم الأحيان، و إلى "السين" في قليل من المواضع. و قد انتقل مخرجها إلى الوراء قليلا في الحالتين، غير أنها أصبحت شديدة في حالة قلبها "تاء"، و احتفظت برخاوتها في الحالة الثانية.

أما "القاف"، فأحيانا نسمعها في اللهجات المصرية همزة، و أخرى "جيما" كالجيم القاهرية خالية من التعطيش. و من الصعب تفسير الظاهرة الأولى أي قلب "القاف" همزة، و يظهر أن هذا التطور كان نتيجة انتقال القاف من مخرجها و تعمقها بين أصوات الحلق، فاستبدل بها الهمزة التي هي أقرب أصوات الحلق شبها بالقاف من حيث الشدة، لأن جميع أصوات الحلق ماعدا الهمزة أصوات رخوة.

أما قلب القاف "جيما" كالجيم القاهرية فهو مجرد انتقال في مخرجها قليلا إلى الأمام، و لأن القاف في الأصل صوت مجهور استبدل بها "الجيم" التي هي صوت مجهور أيضا.**(1)**

الصوت الأصلي	**ما تطور إليه**
1) الضاد	18) الدال
2) الجيم الفصيحة	19) الجيم القاهرية
3) الذال	20) الدال
4) الثاء	21) تاء
5) القاف	22) همزة
6) القاف	23) الجيم القاهرية
7) الظاء	24) الضاد
8) الصاد	25) سين
9) اللام	26) راء
10) الميم	27) نون
11) اللام	28) نون
12) الضاد	29) طاء
13) النون	30) ميم

14)	الحاء	31)	هاء
15)	الغين	32)	خاء
16)	الكاف	33)	قاف
17)	الدال	34)	طاء

2) مخارج الأصوات:

يقصد بمخرج الصوت، مكان تشكيل الصوت من الجهاز الصوتي، و هو الموقع الذي ينحبس فيه الهواء كليا أو جزئيا أو يضيق فيه مجرى الهواء، أو يسند فيه عضو إلى آخر.**(1)**

و من المعروف أن تصنيف الأصوات بحسب مخارجها طريقة قديمة في تاريخ الدراسات الصوتية، و كان للعرب القدماء دور بارز في تصنيف الأصوات بحسب مخارجها و بخاصة مع الخليل بن أحمد و من تبعه.**(2)**

يقول ابن الجزري (823 هـ: (إن الصحيح المختار عندنا، و عند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد و مكي بن أبي طالب و أبي القاسم الهذلي و أبي الحسن شريح و غيرهم: سبعة عشر مخرجا. و هذا الذي يظهر من حيث الاختيار، هو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف و صفاتها)**(1)**.

و يفهم من هذا النص أن أكثر الدارسين من القدماء، صنف الأصوات اللغوية ضمن سبعة عشر مخرجا، على أن بعض الدارسين الآخرين قد خالفوا هذا التصنيف من حيث عدد المخارج، كما أن الدراسات الصوتية الحديثة تخالف هذا التصنيف في بعض المخارج، نظرا لتطور الدرس الصوتي، و نظرا إلى أن بعضهم ينظر إلى تدرج المخرج الواحد عدة مخارج، كمن يميز بين الأصوات الحنجرية و الأصوات الحلقية.**(2)**

و من الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الدراسات الصوتية الحديثة قد انتقلت من مرحلة الوصف الأدائي إلى مرحلة التحليل العلمي اعتمادا على علم التشريح و استثمار الأجهزة العلمية مما أدى إلى شيء من الاختلاف بين القديم و الحديث في بعض الجزئيات. فإذا كان القدماء، مثلا، يحددون مخارج الأصوات بسبعة عشر مخرجا، فقد أصبحت تحدد حاليا بعشرة مخارج فقط، كما أن القدماء يجعلون الحلق مخرجا واحدا يقسم إلى أحياز، نجد المحدثين يميزون المخرج الحنجري و المخرج الحلقي**(3)**.

و يكاد يتفق نعظم الدارسين المعاصرين على اختصار مخارج الأصوات في اللسان العربي الفصيح إلى عشرة مخارج متدرجة من الحنجرة إلى الشفتين و هي**(1)**:

1- المخرج الحنجري: (Glottale):

و يتشكل فيه صوتان هما: الهاء(h) و الهمزة(p)، و يتم ذلك بفضل تضييق الوترين مع الهاء و تلاحمهما مع الهمزة، دون اهتزازهما.

2- المخرج الحلقي: (Pharyngale):

و يتشكل فيه الصوتان: العين(γ***)، و الحاء(h**)، و يتم ذلك بتضييق الحلق و اهتزاز الحبلين الصوتيين مع الأول و عدم اهتزازهما مع الثاني.

3- المخرج اللهوي: (Uvulaire):

و يتكون فيه الصوتين القاف(ω**) الفصيحة المرققة، و يتم ذلك باتصال مؤخر اللسان باللهاة دون اهتزاز الحبلين الصوتيين. و يشاركه في هذا المخرج المصاوت المفخم: القاف (ق**=g) مصحوبا باهتزاز الوترين.

4- المخرج الطبقي: (Vélaire):

و هو مخرج الأصوات: الكاف(ك=k)، و الغين(غ=***)، و الخاء(خ=x). و تتشكل باتصال مؤخر اللسان بالطبق أي الجزء المتحرك من الفك الأعلى الذي يسد مجرى الهواء المتسرب إلى الأنف، و ذلك مع اهتزاز الوترين مع الغين و الخاء و عدم اهتزازهما مع الكاف.

5- المخرج الغاري: (Palatale):

و هو مخرج الأصوات: الشين(ش=***)، و الجيم(ج=J)، و الياء(ي=y)، وذلك باتصال مقدم اللسان بالغار أو سقف الحنك الصلب، مع اهتزاز الوترين مع الجيم و الياء و عدم اهتزازهما مع الشين.

6- المخرج اللثوي: (Alvéolaire):

و هو مخرج الأصوات: اللام(ل=L)، و النون(ن=n)، و الراء(ر=r) و يتم ذلك باتصال طرف اللسان باللثة مع اهتزاز الوترين الصوتيين، و ملاحظة أن النون تشارك خياشيم الأنف في إصدارها، و لذلك تتميز بالغنة مثل الميم، إذ لا يمكن تشكلها بإسناد الأنف.

7- المخرج الأسناني اللثوي: (Dent alvéolaire):

و هو مخرج أصوات: الضاد(ض=***) و الدال(د=d)، و الطاء(ط=**)، و التاء(ت=t)، و الزاي(ز=z)، و الصاد(ص=***)، و السين(س=***)، و ذلك عن طريق اتصال طرف اللسان بالأسنان الأمامية العليا و مقدمة اللسان باللثة، مع اهتزاز الوترين صحبة الضاد و الدال و الزاي، و عدم اهتزازهما مع الطاء و التاء و الصاد و السين.

8- المخرج الأسناني: (Dentale):

و هو مخرج الأصوات: الثاء(ث=θ)، و الذال(ذ=**)، و الظاء(ظ=**)، و يتم ذلك باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا(**1**). و في هذا المخرج يهتز الوتران مع الذال و الظاء و لا يهتزان صحبة نطق الثاء.

9- المخرج الشفوي الأسناني: (Labiodentale):
و هو مخرج صوت الفاء(ف=f) المرققة الفصيحة، و ذلك باتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا دون اهتزاز الحبلين الصوتيين. و يشاركها في هذا المخرج صوت الفاء المفخمة(**ف=v) المصحوبة باهتزاز الحبلين الصوتيين.

10- المخرج الشفوي:(Bi-Labiales):
و تتشكل فيه الأصوات: الباء(ب=b) الفصيحة المرققة، و الميم(م=m)، و الواو(و=w)، و يتم ذلك باتصال الشفتين أو تضييق المسافة بينهما مع اهتزاز الوترين مع جمعها، بالإضافة إلى تسرب الهواء عن طريق الأنف مع الميم(**2**).

و يشارك الباء الفصيحة في هذا المخرج مصاوتها الباء المفخمة(**ب=p) المجردة من اهتزاز الحبلين(**1**).

3) صفات الأصوات:

لكل لغة أصواتها اللغوية التي يطلق عليها مصطلح علمي "فونيم" و جمعها "فونيمات" تمييزا لها عن سائر الأصوات الطبيعية التي لا تدخل في نظام أصوات اللغة. ليس كل صوت هو صوت لغوي. و لا يتوهمن أن عدد فونيمات اللغة يتفق عددا مع حروف هجاء تلك اللغة. كلا فإن فونيمات اللغة أكثر عددا من حروف هجائها. فالإنكليز عندهم فونيم "ث" و يرمزون إليه ب"Th" و عندهم فونيم "ذ" و لا رمز خاص به. ناهيك عن أن للفونيم الواحد ظلالا من التغييرات الطفيفة التي تطرأ عليه تبعا لوقوع حرف ما قبله أو ما بعده. إذا وضع رموز فونيتيكية شاملة لنقل أصوات اللغة بدقة و ضبط، أمر ضروري جدا.

و إن دراسة اللهجة في هذه المرتبة، مرتبة الأصوات، تتناول أخطر ناحية في اللغة، و أكثر الظواهر تعقيدا، و ذلك لأن اللغة مجموعة أصوات تتعرض للتغيير الدائم. و أول خطوة في هذه المرتبة تقسيم الأصوات إلى قسمين طبيعيين: الحروف المصوتة و الحروف الصامتة و وصف طبيعتها و مخارجها و ما يطرأ عليها من تغييرات تبعا لوقوعها في الكلمة، و تبعا لما يسبقها و لما يتلوها من حروف. ثم دراسة قضية النبرة(accent) التي لم يعرها لغويو العرب أقل انتباه فإنها على جانب من الأهمية و ذلك لأثرها في طول الحركة و قصرها(**2**).

فمن وصفنا لجهاز النطق الإنساني يمكن أن نستنتج إنه قادر على إحداث عدد كبير جدا من الأصوات الكلامية، و لكنا نستطيع أن نستنتج كذلك من الملاحظة السريعة غير الدقيقة للغات المختلفة أن كل لغة لا تصطنع إلا عددا محدودا من الأصوات، فنحن في العربية لا نستعمل جميع الأصوات التي يمكن أن يحدثها جهاز نطقنا(**1**).

و مصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي. و تتوقف درجة صوت المرء على سنه و جنسه، و يمكن أن نلخص العوامل التي تؤثر في درجات الصوت الإنساني فيما يلي:

1) السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين و تحديد نسبة ما يندفع منها من التنفس، و تنظيم هذا حسب الإرادة.

2) مرونة عضلات الحنجرة، فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها، كثرت الدبدبات و ازداد الصوت حدة.

3) طول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيرا عكسيا، بمعنى أن كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات، و ترتب على قلتها عمق الصوت.

4) نسبة شد الوترين تؤثر تأثيرا مطردا في درجة الصوت، فالصوت المنبعث من ذبذبة وترين مشدودين شدا محكما يكون صوتا حادا، في حين أن غلظ الوترين عمد الرجال يقلل من نسبة هذا التوتر، مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة لأن عدد الذبذبات أقل.

من كل هذا يكون الصوت اللغوي حادا أو سميكا، واضحا أو أقل وضوحا و المسؤول عن هذا هما الوتران الصوتيان لذا يمتاز الصوت اللغوي عند الطفل و المرأة بالرقة و القصر و الشدة بينما يمتاز عند الرجل بالضخامة و الطول.

يعتمد في تصنيف الأصوات اللغوية من حيث الصفات المميزة لها على الآثار التي ترافق الصوت أثناء خروجه عبر مجرى الهواء للجهاز الصوتي، انطلاقا من الرئتين في اتجاه الفم أو الأنف، فإذا وقع انحباس كلي أو جزئي أو تضييق في مجرى الهواء تولدت أصوات ذات خصائص مميزة تعرف بالصوامت(consonnes)، و إذا لم يحدث أي انحباس في مجرى الهواء، و إنما شاركت بعض الأعضاء بحركات تشكيلية كاللسان و الشفتين، تولدت أصوات أخرى تتميز بخصائص معينة تعرف بالأصوات الصائتة(voyelles).

و قد وضع علماء العربية القدماء مصطلحات عديدة خاصة بصفات الأصوات، و قسموا الصفات إلى مجموعتين: مجموعة في شكل ثنائيات ضدية كالجهر و الهمس، و الشدو و الرخاوة، و الإطباق و الانفتاح، و الاستعلاء و الاستفال، و مجموعة أخرى في شكل صفات أحادية لا أضداد لها، مثل: الصفير و القلقة، و الانحراف و التكرير و التفشي...و غيرها. كما قامت الدراسات الصوتية الحديثة بفضل تعاون العلوم و استثمار الأجهزة العلمية و التجارب المخبرية بتقديم معلومات دقيقة و مضبوطة حول صفات الحروف الأساسية و الثانوية، و لعل أهم الصفات المميزة للأصوات اللغوية في الدراسات الحديثة هي:

1) الصامت و الصائت:

تقسم المنطوقات عامة على أساس نوع النطق إلى قسمين:

أ- أصوات صائتة: (voyelles) و تتميز بنطق مفتوح و مجهور مع غياب لعوائق، أي أنها تخرج دون وجود انحباس أو تضييق في الجهاز الصوتي، وفق شروط معينة، و قد تسمى (الحركات) أو (حروف العلة)، أو (أصوات اللين)، و تشمل في العربية الحركات القصيرة و الطويلة، أي (الضمة، و الفتحة و الكسرة) و (الواو و الألف و الياء) بالإضافة إلى ست صوائت أخرى لا توجد لها محارف (grapheme) تظهر في الإشمام و الإمالة، و الصوائت كلها مجهورة لأنها تعتمد في تصويتها على الوترين.

ب- أصوات صامتة(consonnes) و تتميز بنطق مقارب مع وجود عائق و تشمل كل صوت اعترضه عائق أثناء خروجه كالانحباس الكلي أو الجزئي أو التضييق عبر الجهاز الصوتي، و قد تسمى (الأصوات الساكنة) أو (الصحيحة)، و تتوزع بين الجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة.

و في ظل هذا التقسيم يمكن للجهاز الصوتي لدى الإنسان أن ينتج مئات الأصوات الصامتة و الصائتة، و تقدر الأصوات الصامتة في اللغة العربية بثمانية و عشرين صوتا و لها عدة مصوتات و مبادلات.(**1**)

2) الجهر و الهمس:

يوصف الصوت بالمجهور إذا حدث أثناء خروجه اهتزاز في الوترين الصوتيين، بحيث إذا وضعنا إصبعنا على العنق (تفاحة آدم) أحسسنا بوجود ذبذبة و اهتزاز للحبلين الصوتيين. و الأصوات المجهورة في العربية هي: (ب،م،ج،د،ذ،ر،ز،ض،ظ،ع،غ،ل،ن،و،ي)(**2**) و يلاحظ في هذا الصدد بعض الاختلافات بين الدارسين القدماء و المحدثين من حيث وضع بعض الأصوات المهموسة ي مجموعة المجهورة أو العكس، و هو تصنيف يقتضيه فعل الكلم و التطور عبر الزمن أكثر مما تقتضيه القوانين الصوتية.

و يوصف الصوت بالمهموس إذا لم يحدث أثناء خروجه اهتزاز أو ذبذبة في الوترين الصوتيين، و الأصوات العربية المهموسة هي: (ف،ث،س،ص،ت،ط،ش،ك،خ،ق،ح،هـ،ء(الهمزة))

3) الشدة و الرخاوة و التوسط و الإزدواج:

يوصف الصوت بالشديد أو الانفجاري، إذا كان أثناء تشكله يحدث قفل تام و انحباس كلي، ثم يحدث فتح مفاجىء، أي يمتنع الهواء أن يجري معه، بحيث لا يمكن أن يمد الصوت، بل ينحبس الهواء انحباسا تاما، و قد يسمى الإنحباسي (الوقفي) أو (المغلق).(**3**) و الأصوات الشديدة عند المحدثين هي: (ب،ت،د،ض،ط،ق،همزة).

و يوصف الصوت بالرخو أو الإحتكاكي، إذا كان أثناء تشكله يحدث قفل نسبي، بحيث يترك الهواء يجري معه و لا ينحبس انحباسا تاما، و يمكن مد الصوت دون حدوث انفجار، و الأصوات الرخوة عند المحدثين هي: (ف،ظ،ذ،ث،ز،ص،ر،ش،غ،خ،ع،هـ)، و ذلك مع ملاحظة بعض الاختلافات و القدماء و المحدثين.(**1**)

أما التوسط، فهي حالة تقع بين الشدة و الرخاوة، و فيها يتجنب الهواء في مجراه المرور بمنطقة الحبس أو التضييق أو الاحتكاك، و أهم الأصوات المتوسطة في اللغة العربية الحديثة هي: (و،ي،ل،ر،م،ن) و هي أصوات صامتة أشبه بالصائتة، و لذا يسمي بعضهم الأصوات: (ل،ر،م،ن) الأصوات المائعة (liquides) تشبيها لها بالصوائت(**2**)

و لأما الأصوات الازدواجية أو المركبة فهي صفة خاصة بصوت الجيم.

4) الاستعلاء و الاستفال أو الانخفاض:

يوصف الصوت بالمستعلي إذا وقع أثناء تشكله تصعد في الحنك الأعلى، و الأصوات المستعلية في اللسان العربي هي: (خ،غ،ق). و ضد ذلك الإستفال أو الانخفاض و فيه يستفل اللسان إلى قاع الفم مثل التاء أو الجيم مثلا.

5) التفخيم و الترقيق:

و يوصف الصوت بالمفخم إذا حدث أثناء نطقه اقتراب مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بسبب تراجع اللسان، فيحدث تضييق في البلعوم و ينطق الصوت مفخما، قد يسمى (المقعر) أو (المطبق). و الأصوات المفخمة في العربية هي:

(،ض،ظ،ط،ص)، و ضده الترقيق، و فيه لا يتراجع اللسان و لا يتقعر، و أكثر أصوات العربية مرققة.

6) الصفير:

و هو صفة تحدث للصوت بسبب وقوع تضييق المخرج و حدوث احتكاك أثناء النطق، و أصواته هي: (س،ص،ز).

7) القلقة:

و هي عبارة عن صوت زائد يشبه النبرة، يلحق بعض الأصوات حين الوقوف عليها ساكنة لإتمام النطق، و أصوات القلقة هي: (ق،ط،ب،ج،د).

8) الانحراف أو الجانبية:

و هي صفة تحدث حين ينحرف اللسان أثناء النطق بصوت اللام بخاصة، و ذلك نتيجة قفل جزئي.

9) التفشي:

و هي صفة خاصة بصوت الشين، بسبب كثرة الهواء بين اللسان و الحنك، فإذا ضاق المخرج سمع صفير و استعال صوت الشين إلى (سين) و هي ظاهرة منتشرة في جميع اللغات.

10) التكرار:

و هو صفة خاصة بصوت (الراء) بسبب وقوع تكرير اللسان عدة مرات على حافة الحنك عند النطق به(**1**).

4)التشكيل الصوتي:

تمثل الأصوات اللغوية العناصر الأساسية في تشكيل مفردات اللغة، و هي تخضع لنظام دقيق و منسق، تحكمه علاقات خاصة تختلف من لغة إلى أخرى.

و لعل أول من أولى أهمية لمسألة التشكيل الصوتي في الدراسات العربية القديمة:(1) الخليل بن أحمد (ت 175هـ) في معجمه العين فلما كان الترتيب الصوتي (الألغابي) المعهود لدى اللغويين قبله مبني على أساس شكلي، و لم يضع في الاعتبار الخصائص الصوتية لكل حرف، اعتمد الخليل على الترتيب الصوتي الذي يعتمد أساسا على مخارج الأصوات في جهاز النطق، و إدراكه أن مادة الصوت الهواء المندفع من الرئتين متصعدا إلى الفم جعله يقدم في الذكر ما كان أدخل في جهاز النطق، ثم بالذي يليه و هكذا حتى انتهى إلى مقدم الفم.

كما أن استقراؤه لكلام العرب، و علمه بالقوانين الصوتية التي تحكم بناءه جعله يهتدي إلى أن لمخارج الأصوات و صفاتها و أجراسها أثرا كبيرا في تمازج الأصوات و ائتلافها، أو تنافرها و اختلافها مثلا: "العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما"، و العرب أيضا لا تستحسن تركيبا تجاور فيه صوتان دون فاصل بينهما، و قد اختلفا صفة، نحو الضاد و الكاف و كذلك: "العين و القاف لا تدخلان في بناء إلا حسناه، لأنهما أطلق و أضخمها جرسا."

و قد قال الخليل أن كلام العرب مبني على أربعة أصناف:

أ- الثنائي: مبني على حرفين مثل: قد، لم، هل و نحوه من الأدوات و الزجر.(2)

ب- الثلاثي: مبني على ثلاثة أحرف من الأفعال نحو: ضرب، و من الأسماء نحو: عمر.

ج- الرباعي: مبني على أربعة أحرف، من الأفعال نحو: دحرج، و من الأسماء نحو: عقرب.

د- الخماسي: مبني على خمسة أحرف، من الأفعال نحو: اقشعرّ، و من الأسماء نحو سفرجل.

(و الألف في الفعل ليست في أصل البناء و إنما أدخلت في الكلام لتكون الألف عمادا أو سلما للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل).

و أشار إلى بعض القواعد من بينها:

1) ليست للعرب بناء في الأسماء و لا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم، فاعلم أنها زائدة على البناء و ليست من أصل الكلمة مثل: قرعبلانه أصلها قرعبل.

2) الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: مثل سعد و عمر...

- حرف يبتدأ به.
- حرف يحشى به الكلمة.
- حرف يوقف عليه.

و قد استطاع الخليل أن يؤسس كثيرا من المبادىء في قواعد التشكيل الصوتي سواء ما تعلق منها بائتلاف الأصوات و عدم ائتلافها، أم تعلق بمعرفة الفصيح و المعرب و الدخيل، باعتبارها معايير شبه قارة قي التشكيل الصوتي. فمعرفة الخليل العميقة بأسرار الأصوات، و خصائص العربية أدت به إلى اكتشاف ثمانية أصوات أساسية في بنية الكلمة العربية، لا يخلو من بعضها التركيب الرباعي و الخماسي. من هذه الأصوات ستة ذلقية هي: اللام، و الراء، والنون، والهاء، والباء، و الميم و اثنان سماهما الخليل بحرفي الطلاقة، و هما القاف و العين: (فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلقة أو الشفوية، و لا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد، أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب)**(1)**.

و غيرها من القواعد التي تمكنت اللسانيات الحاسوبية الحديثة من خلال دراسة المعاجم أن تؤكد صحتها.**(1)**

و قد جاء بعد الخليل كثير من اللغويين تابعوا ما ابتدأه، و أضافوا إليه قواعد أخرى ذات صلة وثيقة بالتشكيل الصوتي، و بخاصة ابن دريد (321هـ) في جمهرة اللغة، و ابن جني (392هـ) في سر صناعة الإعراب، و الجواليقي (540هـ) و غيرهم.**(2)**

5) التغييرات الصوتية:

يحرص متكلم أي لسان على أن يحافظ على أصالة اللغة، و على عدم تغيرها في جانبها الصوتي بخاصة حتى لا يحدث تداخل بين الصيتات الذي يؤدي في الغالب إلى الخلط بين دلالات المفردات.

غير أن اجتماعية اللغة تجعلها عرضة للتغيير و التبديل، سواء بسبب التشكيل الداخلي للأصوات في تركيبها و تجمعاتها السياقية، أم بسبب تعرضها لعوامل اجتماعية و ثقافية**(3)**.

و يقصد بالتبادلات الصوتية كل تغيير يصيب صيتات اللغة بعد تعرضها لسلسلة من التغييرات الصوتية عبر مراحل زمنية طويلة**(4)**، و أكثر ما تظهر هذه التغيرات في الكلام المنطوق، و يتم بطرائق مختلفة، فقد يكون حرا كما في تغير (القاف=**) إلى قاف مفخمة (***)، أو إلى (كاف=) أو همزة ().

و قد يكون التغير مقيدا بسبب المماثلة كالإدغام في ابدال تاء الافتعال (طاء-**) أو (ذالا=**) كما في نحو: (اضطرب=اضترب= ضرب) و (اذكر=اذتكر=ذكرا).

و من الجدير بالذكر في هذا السبيل أن الدراسات الغوية القديمة على اختلافها قد أولت أهمية للتبدلات الصوتية، إلا أنها أظلت تنظر إلى تلك الظاهرة من منظور معياري، إذ كانت تعتبر تلك التغيرات خاضعة لقوانين صارمة، لا تحتمل أي استثناء، و أكد هذه الفرضية كثير من الدارسين، و بخاصة جماعة النحاة الجدد (****) الذين اعتبروا هذه القوانين قارة وصالحة للتطبيق على كل لغة.

غير أن اللغوية الحديثة، ابتداءا من أواخر القرن التاسع عشر، بدأت ترفض فكرة التقنين المعياري، و تعتبر التطور الصوتي ظاهرة اجتماعية تبرز نتيجة الصراع المستمر بين حاجات الإنسان الاتصالية، و طبيعة اللغة، و لا يمكن تفسيرها في ظل عامل أو قانون واحد.

و من هنا ظهرت عدة اتجاهات تحاول تفسير ظاهرة التطور الصوتي من أهمها:**(1)**

1- قانون الأقوى: و قد صاغه اللغوي الفرنسي: موريس غرامون و يرى أن الصوت الأقوى هو الأكثر تأثيرا في الصوت الضعف حين يجاوره في المقطع، كأن يكون المهموس عرضة للتأثر بالمجهور أو المفخم يؤثر في المرفق إذا جاوره.

غير أن هذا القانون لم يثبت أمام التجارب الصوتية التي أثبتت عكس ذلك.

2- قانون الجهد الأول: و فيه يحاول المتكلم أن يبذل الحد الأدنى من الجهد العضلي، و يحقق الحد الأقصى من التمييز بين الأصوات، و من أمثلة ذلك، نلاحظ أن المتكلم يخفف من بعض الأصوات، كما في نطق تاء بين متتاليتين، مثل (قامت تفتح الباب)، فإن المتكلم لا ينطق التاء الأولى كاملة. و مثل ذلك حذف الذال أو إدغامها في التاء في نحو: (أختم) من قوله (أخذتم).

و قد وجهت إلى هذا القانون عدة انتقادات منها أنه غير قادر على تفسير كل التغيرات الصوتية، و أن طلب السهولة يقتضي إبعاد كثير من الأصوات التي يتطلب نطقها جهدا زائدا.

3- عامل التوازن: و يقوم على أساس أن: (التطورات اللغوية لا تحدث عفوا أو نتيجة لمجموعة من الظواهر التي لا رابط بينها، و لكنها تخضع لنظام معين ينسحب على مجموعة من الأصوات الرابطة)**(1)**

و معنى ذلك أن أي صوت لا يتطور في معزل عن الأصوات الأخرى، في النظام نفسه، بل يشمل الأصوات فيما بينها نوع من التوازن. و من أمثلة هذا التوازن أن من ينطقون الجيم (قافا مفخمة=**) لا تجد بينهم من ينطق القاف الفصيحة بالنطق نفسه، و لكن تجد من ينطقها همزة**(2)**

4- العامل الاجتماعي: و يرجع هذا العامل التطور الصوتي إلى أسباب خارجية في فترة زمنية عن طريق تأثر أصوات لسان بلسان آخر. و يتم ذلك عن طريق تبني المجتمع للغة وافدة بسبب الغزو الاستيطاني أو الثقافي مما يبقى بعض العادات النطقية الأصلية و يظهر أصواتا أخرى دخيلة نتيجة تأثر أصوات لغة الشعب المغزو بأصوات الشعب الغازي، كما يمكن أن تتأثر الأصوات باللغات المجاورة نتيجة الاحتكاك و تبادل المصالح.

و يتم الصوتي وفق أشكال متعددة من أهمها:

1- المماثلة و المخالفة:

و يقصد بالمماثلة: تحول الصيتات المتخالفة إلى صيتات متماثلة، جزئيا أو كليا**(3)**، بهدف تسهيل النطق. و يتم ذلك بعدة طرائق:

- مماثلة مجاورة، مثل: اضطرب (اضترب)
- مماثلة تخفيف، مثل: سراط (صراط)
- مماثلة جزئية، مثل: امبعث (انبعث).

أما المخالفة فهي عكس المماثلة، و تعني: (تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، و لكنه تعديل عكسي، يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين) **(1)**. و تهدف المخالفة إلى إحداث التوازن بين الأصوات من أجل تيسير جانب الدلالة، و يفترض بعض الدارسين، أن أصل كلمة عرقب هو عقّب، و أصل جلمد هو جمّد.

2- الإدغام:

و هو إيصال صوت ساكن بصوت مثله –أو يجاوره مخرجا- متحرك، من غير فاصل بينهما بحركة أو وقف، سواء في كلمة واحدة، أو كلمتين، لتحقيق حد أدنى من الجهد، و هو نوع من المماثلة التامة، و من أمثلته : (مدّ في مدد، و اطّلع عوض اطتلع).

3- القلب:

و هو تبديل مواقع الأصوات المتجاورة في السلسلة الكلامية طلبا لمجارات النموذج الشائع في اللغة أو جهلا بترتيبها كما في لغة الأطفال. من ذلك مثلا: (جذب=جبذ/ طمس=طسم/ أبله=أهبل)...الخ.

4- التوازن و الميل نحو الأيسر:

و يقصد بالتوازن إضافة صامت أو صائت عند توليد بعض المقاطع الممنوعة في اللغة العربية لتسهيل النطق.
ففي العربية الفصحى يمنع المقطع المبدوء بساكن، كالأمر من مرض (ضرب) فجاءت همزة الوصل لتسهيل النطق فأصبح: (اضرب).

6) الدراسة فوق التركيبية: suprasegmentale

بعد الوقوف على مخارج الأصوات و صفاتها، نمر إلى دراسة و معرفة الوظائف التي تؤديها تلك الأصوات، و أهمها تحديد الوحدات الصوتية و ما يوجد بينها من علاقات و ما تؤديه من وظائف مجتمعة.
و يقصد بالوحدات الصوتية كل العناصر التركيبية في الشبكة الصوتية للأداء اللغوي، و ما تخضع له من قواعد تشكيلية(**2**).

أقسام الوحدات الصوتية:
هناك اختلاف الدارسين في تقسيم الوحدات الصوتية الوظيفية، بما فيها الوحدات التركيبية و ما فوق التركيبية(**1**). و لعل أشهر تقسيم هو الذي يجعلها أربعا: الصيتة و المقطع و النبر و التنغيم و ما يوجد بينها من علاقات ذات وظائف تنظيمية.
1- الصيتة: (phoneme)(**2**)
و هي الوحدة التقابلية الصغرى المجردة في النظام الصوتي للغة ما. و معنى أنها (تقابلية)، أي أن لها وظيفة في ذلك النظام و هي وحدة مجردة تحققها الأصوات الكلامية و تبرز وظائفها(**3**). فهي الصوت اللغوي باعتباره أصغر وحدة للتمييز بين دلالات الكلمات.
2- المقطع: (syllabe)

يشكل المقطع عنصرا من عناصر الكلام، و يمثل وحدة إيقاع أكبر من الصيتة. و يتألف المقطع من صيتات مرتبة و موزعة على الكلام المنطوق بين صامت و صائت. و يظهر المقطع إما في شكل صائت واحد على الأقل، و إما أن يسبقه أو يليه صامت واحد أو أكثر **(4)**.

و قد وجد المقطع اختلافا في تحديده و تعريفه بسبب اختلافه من لغة إلى أخرى، و نظرا لعدم وضوحه، غير أن التحليلات الصوتية أثبتت معالمه. و من التعريفات الخاصة به، تعريف دي سوسير الذي يعرفه بأنه: "الوحدة الأساسية التي تؤدي الصيتة وظيفتها داخلها" **(5)**.

و من المعروف أن العربية الفصحى لا تحتوي على نطق الصامت وحده. و لذلك لابد من وجود الصائت لتحديد المقطع. و هذا يعني أن المقطع يختلف من لسان إلى آخر، من حيث عدد الصوامت و الصوائت التي يتشكل منها و هو في الغالب يقسم إلى ثلاثة مراحل:

أ- استهالة، و هي انطلاقة المقطع.

ب- نواة، و هي مركز المقطع الذي تقع عليه ذروة الجهورة.

ج- تقفيلة، و هي نهاية المقطع. **(1)**

و يوجد في العربية خمسة أشكال من المقاطع يتفاوت ورودها في أبنية الصرف العربي و هي:

النوع الأول:

المقطع القصير: صامت و مصوت قصير مثلا ب ص م ***(2)**

النوع الثاني:

المقطع المتوسط المفتوح: صامت و مصوت طويل مثلا ما ص م ***

النوع الثالث:

المقطع المتوسط الأحادي الإغلاق: صامت و مصوت قصير ثم صامت

مثلا: بل ص م ص***

النوع الرابع:

المقطع الطويل (المديد) الحادي الإغلاق: صامت و مصوت طويل و صامت مثلا: باب ص م ص******

النوع الخامس:

المقطع الطويل الثنائي الإغلاق: صامت و مصوت ثم صامتين مثلا: برق ص م ص ص****

و وفق هذه الأشكال من المقاطع تتشكل أبنية الكلام العربي، و في ظلها رسم علماء أصول النحو القدماء مجموعة من الأصول و القواعد و الخصائص للكلمة العربية من حيث عدد المقاطع و نوعها.

3) النبر: (stress)

و يعني النبر(Accent de force) درجة القوة التي يلفظ بها المقطع أو الكلمة، فالمقطع المنبور هو المقطع الأكثر بروزا و وضوحا من المقطع الغير المنبور، و غالبا ما يصاحبه ازدياد في الجهارة و الطول. و إذا كان النبر واقعا على مقطع في كلمة سمي (نبر الكلمة)، و إذا كان واقعا في حملة سمي (نبر الجملة)، و إذا وقع على موضع واحد من الكلمات سمي نبرا ثابتا، و إذا تغير سمي نبرا حرا.**(1)**

و هذا يعني أن النبر هو الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى الإسماع.

النبر ظاهرة ما فوق التشكيلية (أو التركيبية)، و هو في اللغة: مطلق الضغط (يقرن بالهمز)، و هي كلمة تطلق على كل مرتفع – رفع الكلام و إعلاؤه –

فالنبر وضوح نسبي يتميز به صوت أو مقطع من بقية الأصوات أو المقاطع التي تجاوره في البنية التركيبية.

و يرتكز هذا الضغط على الزيادة في واحد من ثلاثة أمور هي:

1) مدة المقطع

2) شدته

3) حدته
و كل هذا بنصب على نواة المقطع أي الصوت الصائت.
يقول كانتينو:**(2)**

" النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته، أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، و ذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة ".

و يقول كارل بروكلمان:

" في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، و يتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر على المقطع الأول منها، غير أنه في اللهجات الحديثة قد ساد النبر الزفيري في كل مكان منها. " **(1)**.

مواضع النبر في العربية:

1) ننظر إلى المقطع الأخير من الكلمة: إذا كان من النوع الرابع (ص م ص) أو الخامس (ص م ص ص) فإن النبر يقع عليه (و هذا لا يكون إلا في حالة الوقف) مثال:
نستعين المستقر

2) إذا لم تنته الكلمة بمقطع من هذا النوع: يقع النبر على المقطع ما قبل الأخير إذا كان من النوع الثاني (ص م) أو من النوع الثالث (ص م ص)
3) إذا كان المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول و متبوع بمثله تحول النبر إلى المقطع الثالث عد من الأخير مثلا: كـــــتــــــب

4) إذا كانت مؤلفة من أربع مقاطع من النوع الول فإن النبر يقع على المقطع الرابع (عدا من الأخير) مثلا: عــــــربــــــة

4) التنغيم: (Intonation)

يمكن تعريف التنغيم بأنه: ارتفاع الصوت وانخفاضه في الأداء الكلامي للدلالة على المعاني المختلفة، و لأغراض متنوعة في الجملة الواحدة، و هو (اللاستعمال التقابلي أثناء الكلام لأغراض متنوعة، كالتفرقة بين الأنواع المختلفة للتركيب مثل: التقرير و الاستفهام، و الدلالة على الانتهاء، أو التعبير عن الدهشة، و التهكم أو اللاضا أو الغضب و نحو ذلك)**(1)**

و قد عرف ماريو باي (M.Pei) التنغيم بأنه: (عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين، أو هي تنوع الأصوات بين الارتفاع و الانخفاض أثناء الكلام نتيجة لتدبدب الوترين الصوتيين فيتولد عن ذلك نغمة موسيقية) **(2)**.

و من هنا يمكن القول أن التنغيم عبارة عن موسيقى تنتهي بها الجملة و تشير إلى معنى من المعاني، و هو اختلاف درجة النبر داخل الجملة (علوا و هبوطا) فيعرفه الدكتور نجا على أن "التنغيم ارتفاع الصوت و انخفاضه مراعاة للظرف المؤدى فيه، أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه" **(3)**.

و يكون هذا التنويع على مستوى الكلمة، كما يكون –أيضا– على مستوى الجملة أو العبارة.

فعلى مستوى الكلمة هو عبارة عن اختلاف درجات الصوت في الكلمة الواحدة "فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت و كذلك الكلمات قد تختلف فيها". **(4)**

أما على مستوى الجملة، فتنغيم العبارات هو عبارة عما يلاحظ من التنوعات الموسيقية في الكلام، و هو يرتكز على ما للمتكلم من قدرة على التحكم في عضلات نطقه، و يتدخل في طبيعة النطق. و التنغيم موقف الكلام، و حالة المتكلم النفسية، و طبيعة المخاطبين و البيئة التي يلقي فيها الكلام و غير ذلك من الظروف المحيطة.

و تسهيلا لتتبع التنغيم في اللغات النغمية المختلفة، اصطنع علماء اللغة رموزا للتمييز بين أنواع النغمات في الكلمة أو الجملة، من حيث الثبات أو التغير أو الهبوط و الصعود و التساوي، و ذلك في خمسة رموز و هي:

1- نغمة صاعدة، و رمزها: [**]

2- نغمة هابطة، و رمزها: [**]

3- نغمة صاعدة هابطة، و رمزها: [**]

4- نغمة هابطة صاعدة، و رمزها: [**]

5- نغمة متساوية أو ثابتة، و رمزها: [**]

كما تتميز هذه النغمات من حيث القوة و درجة الضغط و الموقع الذي تحتله من الجملة إلى أربع درجات هي:

1- نغمة منخفضة، و رمزها: /1/، و تأتي في نهاية الجملة الإخبارية.

2- نغمة عادية، و رمزها: /2/، و تأتي في بداية الكلام.

3- نغمة عالية، و رمزها: /3/، و تأتي قبل نهاية الكلام.

4- نغمة فوق العالية، و رمزها /4/، و تأتي في حالات التعجب.

و يعود هذا التدرج في وصف النغمات إلى ازدياد عدد الذبذبات بالوترين الصوتيين في الثانية، أي حسب التردد الذي يعتمد على درجة توتر الحبلين الصوتيين **(1)**.

و ما سنقف عليه من خلال دراستنا هو هذه التنوعات و الخصائص الصوتية التي تمتاز بها لهجة سيدي بلعباس، و ستكون دراستنا علمية محضة دون الإشارة إلى علاقة هذه اللهجة باللهجات الأخرى و الربط بين خصائصها و خصائص لهجات مغايرة، حتى تكون النتائج فيها أكثر موضوعية .

و قد خصصنا مادة بحثنا في بعض أغاني فرقة "راينا راي" التي نعتبرها أحد ممثلي اللهجة العباسية التي يتداولها الصغار و الكبار معا.

الخصائص الصوتية للهجة سيدي بلعباس

"الأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله".لسان العرب لابن منظور المجلد **11** رقم **6641** ص **48**.

و الإبدال بمعنى إبدال صوت من كلمة بصوت آخر، و هو كثير في اللغةو يقــع بــين الأصوات المتقاربة في الحيز و المخرج و بين المتباعدة أيضا، حيث التفت اللغويون إلى إمكان تفسير الإبدال بأن تكون إحدى صورتيه لغة قبيلة و الأخرى لغة قبيلة ثانيـــة. ابـراهيم أنيس في اللهجات العربية مقدمة الطبعة الألولى.

أ- أصوات الحلق

1) الهمزة

الهمزة صوت شديد، لا هو بالمجهور و لا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، و لا يسمح الهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار؟، دلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة.

و قد مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى تخفيف الهمزة و الفرار من نطقهـــا محققة، لما تحتاج إليه من جهد عضلي. (**الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس ص91**)

إن عدم استقرارية وثبات صوت الهمزة يعد من العوامل الرئيسية في تفشي ظاهرة الإبدال التي تلحق بهذا الصوت، و هو أمر شائع في لهجة سيدي بلعباس، فلا نكاد نسمعها محققـــة أبدا، فهي إما مبدلة إلى واو أو ياء أو أنها محذوفة.(**أمينة طيبي**)

و مما سمعناه فإن الهمزة تبدل هاء في كلمة واحدة و هي (هراق) في قولهم أراق، إذ يقول بعضهم : (انهرق) الماء علي، أي انقلب عليه، فبلل ملابسه. و الغريب قولهم : (انهرقت) ، و يريدون بهذه الكلمة أنهم أصيبوا بالإسهال، فكأنهم شبهوا الإسهال لحدة جريانه بالماء.

و عدا هذه الكلمة، فإن الهمزة إما تسقط تماما، و إما أن تبدل إلى أحد حروف العلة.

و يمكن تقسيمها إلى :

1. الهمزة الإبتدائية :

و يتم إبدالها أو حذفها، و ذلك نحو قولهم :

اللهجة	الكلمة الأصلية
لنظار	الأنظار
لضرار	الأضرار
ختي	أختي
لوهام	الأوهام
لحوال	الأحوال
ليام	الأيام
نقدر	أقدر
خيي	أخي

و في كلمة **خيي** : إن الهمزة حذفت ثم نقلت حركتها إلى الخاء بعدها، ثم سقطت الألف (هذه الألف صورة للهمزة حسب الإملاء العربي تسقط بسقوط الهمزة) لأنها صوت ساكن، و العربية لا تبدأ بساكن، و قد يشمل هذا العاميات في بعض الأحيان، ثم في الأخير انتقلت حركة الخاء إلى الياء بعدها فكسرت.

2. إذا وقعت الهمزة وسطا :

نادر ما يقع حذف الهمزة إذا وقعت وسطا ، إذ أنه من الشائع أن تبدل ياءا أو واوا أو ألفا، و هذا حسب حركتها أو حركة الحرف الذي يليها.

و مثلا على ذلك قولهم :

اللهجة	الكلمة الأصلية
يسالوني	يسألوني
لياس	اليأس
جاني	جاءني
الطايلة	طول العمر
كاينة	كائنة
راسي	رأسي
ياكلوني	يأكلوني
بايت	بايت
النايمين	النائمين

و سمعنا أهل هذه اللهجة من يقول (نسولك) أي نسألك، حيث سقطت الهمزة و نقلت حركتها إلى الساكن قبلها فأصبحت (نسالك) و عن طريق المماثلة الرجعية أثرت الضمة في الفتحة فأبدلت الألف واوا لمجانسة الضمة بعدها فقالوا (نسولك). أمينة طيبي.

3. إبدال الهمزة أو حذفها إذا تطرفت :

تحذف الهمزة أو تبدل إذا وقعت في آخر الكلمة كقولهم :

اللهجة	الكلمة الأصلية
برا	برأ
جا	جاء
عضرا	عذراء
البني	البناء

و منه قولهم (الضو) في الضوء فتحذف الهمزة الأخيرة، كذلك قولهم (لتلات) في الثلاثاء، و يقولون (توضى) في توضأ، و (صفرى) في صفراء، و (لما) في الماء .

و نستطيع أن نجزم أن كل الكلمات المهموزة إلا و حذفت همزته أو أبدلت بإحدى الأصوات الثلاثة . و مع ذلك نجد بعضهم يحقق الهمزة في كلمة واحدة مما سمعناه في أجل، فيقولون : (جا أجله) ، أي جاء أجله، أو حان وقت رحيله إلى جوار ربه، فحذفوا الهمزة الأولى في الفعل جاء، و أبقوا الهمزة الثانية حتى لا تلتقي الهمزتان، و يحدث الاستثقال، و الذي تخلصوا منه بحذف الأولى و ترك الثانية على حالها. أمينة طيبي ص 87

و منهم من لا يحقق الهمزة، و مثل ذلك قولهم (مرا) في إمرأة، فحذفوا الهمزتين الأولى و الأخيرة.

و بهذا نستطيع القول أن الهمزة صوت أصابه الكثير من التغيير، و قد حذف أكثر مما أبدل، حتى لم نعد نسمع هذا الصوت تقريبا في عاميتنا.ص88 89

2) الهاء

الهاء صوت حنجري احتكاكي رخو، مهموس مرقق." عند النطق به يظل المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، و لكن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، و يتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعا يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين . و الهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة و في هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان، كما يسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الحفيف لولاه لكانت هذه الهاء أقرب إلى صوت لين عادي.

و عند النطق بالهاء المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطا بذبذبة الوترين الصوتيين". **الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 89، 90.**

هذا الصوت المهموس كثير ما يجهر به في لهجة سيدي بلعباس، لا سيما إذا جاور صوتا مجهورا آخر، فيقولون مثلا :

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
الهدرة	**الكلام**
راهم	**إنهم**
اداوها	**أخذوها**
اعطاوها	**أعطوها**
هقدا	**هكذا**

يديها	**يديها**
اماليها	**أهلها**
تهلي	**تهلل**

- و تبدل الهاء من الهمزة، فكما أن بعضهم يحقق همزة فعل الأمر، فإن بعضهم الآخر يبدلونها هاء فيقولون :

هرواح في أرواح (بمعنى تعال إلى هنا)

- و تحذف في بعض الكلمات كقولهم :

منا في من هنا (أي في هذا الاتجاه)

فحذفت الهاء و بعد ذلك التقت نونان، إحداهما ساكنة (من) و أخرى متحركة (نا) ، فأدغم المثلان فأصبحت للكلمة صيغة جديد ة (منا) .

- كما أنها تدغم في الصوت الذي يجاورها، و هذا في قولهم :

يكرها في يكرهها

جرحا في جرحها

باحا في باعها (حيث أبدلت لعين حاء ثم أدغمت في الهاء)

و نلاحظ أن أصل الهاء في هذه الكلمات هاء الضمير، و التي جاورت أصواتا من نفس المخرج تقريبا و هي (الهاء، الحاء، و العين) و جاورت أصواتا مجهورة لأن الهاء من الأصوات تجهر في لهجة سيدي بلعباس تقريبا إذا جاورت أصواتا مجهورة . أمينة طيبي ص **91** .

3) الحاء

الحاء صوت حلقي احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، تتألف بنيته حين يندفع

الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة دون أن يتحرك الوترين الصوتيين، و حين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى و يكون معه نتوء لسان المزمار صوب الحائط الخلفي للحلق، و يرتفع الطبق، و يسد المجرى الأنفي، فينتج هذا الصوت . **الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل ط 1 دار الصفاء للنشر و التوزيع 1998 ص 182 .**

و هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، فمخرجهما واحد و لا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين . **الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 89 .**

هذا الصوت المهموس يكسب قيمة تخيمية تقريبا مطلقا، سواء جاور الأصوات المجهورة أو لم يجاورها، فنجدهم يقولون :

اللهجة	الكلمة الأصلية
حيران	حائر
محير	حائر
حدا	بجانب
مشحر	شحر
كحلة	سوداء
محال	من محال
يحوس	يبحث على
صحبة	صداقة
تحمى	تسخن
الحمان	الحر الشديد
محايني	محني
حاسبينه	يعتقدونه
شحال	منذ مدة طويلة

روحك	**نفسك**
أرواح	**تعال**
فرحان	**فرح**

و هذا التفخيم لمسناه عند سكان المناطق البدوية الذين يقطنون في البلديات المجاورة للمدينة حيث يعد، مع الجهر، من الطبائع التي جبلوا عليها و اعتادوها، فلم نسمع الترقيق في صوت الحاء (و هو أصله) إلا نادرا .

4) العين

العين صوت حلقي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق " عند النطق بهذا الصوت تندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة حيث تتحرك معها الوترين الصوتيين، و حين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى عند لسان المزمار، حيث نتوءه إلى الخلف ليكاد يلامس الحائط الخلفي للحلق، و في هذه الأثناء يرتفع الطبق سادا المجرى الأنفي، فيندفع مؤلفا بنية هذا الصوت " . **الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 181**

" عد هذا الصوت عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة و الرخاوة . و لعل السر في هذا هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالغين. و ضعف حفيفها يقربها من الميم و النون و اللام و يجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين ". **الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 89 .**

يفخم هذا الصوت في عامية سيدي بلعباس كنظيره الحاء، و نادرا ما نسمعها مرققة و هذا بمجاورة الكسرة، لكن سكان المدينة يرققون في بعض الكلمات التي فخم فيها البدو، و هذا راجع إلى تأثرهم بسكان الولايات المجاورة الذين يقطنون المدينة كأهل تلمسان الذين يرققون دوما، و تعتبر هذه السمة من أهم مميزات لهجتهم، و هذا بحكم التعامل اليومي معهم، و الاحتكاك بهم في الأمور المختلفة، و نرى أن الجيل الجديد هو الذي تأثر بهذا الاحتكاك خلافا عن كبار السن الذين لم يتأثروا بذلك مطلقا.

فهم يقولون مثلا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
اعلاش	لماذا، على أي شيء
طامع	طامع
اعطاوها	أعطوها
معطر	معطر
العمبر	العنبر
معولة	مصممة
نزعف	أغضب
عمري	عمري
عشرتنا	عشرتنا
العاهد	العهد

و في بعض الحالات يبدل هذا الصوت إلى نظيره المهموس (الحاء) في قولهم :

اللهجة	الكلمة الأصلية
اشحال بدل اشعال	من مدة طويلة
الحسل	العسل
يفحس بدل يفعس	يعفس

إذا فهم يقولون يفحس بدل يفعس، و أصل هذه الكلمة يعفس بالعين كما أنهم قاموا بقلب مكانيفي هذه الكلمة، ثم أبدلوا العين حاءا من أجل المماثلة الصوتية، لأن العين بعد

أن قلبوها مكان الفاء جاورت السين، صوت مهموس، مباشرة، فأبدلوا العين صوتا من مخرجها و يماثل السين في صفتها، لكن مثل هذه الكلمات قليلة نادرة. أمينة طيبي ص **94**.

كذلك نجدهم أبدلوا العين حاء إذا وليها ضمير الهاء، و لعل هذا الإبدال من بـــاب الإدغام، فالإدغام لا يكون إلا بين المتجانسين و المتماثلين، و هما متجانسان لأنهمـــا مـــن مخرجين متقاربين إلا أنهما غير متماثلين، فأبدلوا العين صوتا يجانسه في المخرج ويماثل الهاء في الصفات، فكان هذا الصوت هو الحاء، فقالوا في :

(نتاحّا) في نتاعها بمعنى ملكها.

(باحّا) في باعها.

(وسحّا) في وسعها (فيقولون مثلا:(يا رب وسحّا عليَّ)، أي وســعها علي في الدنيا).

(صبُحّا) في إصبعها

إن صوت العين يدغم في كل الكلمات الأخرى إذا اتصل بضمير الهـــاء، بعـــد أن يبدل إلى صوت الحاء.

و مما سمعته أيضا إبدالهم العين إلى الدال في كلمة واحدة هي:

(ارفد) في ارفع بمعنى الرفع إلى الأعلى، مع أنه لا علاقة بين الدال و العين في المخرج وإن التقيا في بعض الصفات إلا أن هذا الإبدال حدث مطلقا في هذه الكلمة، فلم نسمع هذه الكلمة إلا بالدال في كل مناطق سيدي بلعباس (المدينة و البلـــديات المجاورة لها).

ومن مثل هذا الإبدال قول بعضهم:

(كاعط) في (كاغط).

أما معنى هذه الكلمة هو ورقة ، و ربما سموها بـــ (كاغط) لأننا حين تمزيقها نسمع لهـــا صوتا ممزوجا بين الغين و الطاء، فلقبت بذلك، لكن منهم من يبدل الغين عيناً مطلقا فـــي الكلمة فلا يستطيعوا أن يقولوا إلا (كواعط ، كواعطي ، الكواعط) لكن الإبدال هنا مقبول، فـــــالعين و الغـــــين صـــــوتان متمـــــاثلان فـــــي كثيـــــر مـــــن الـــــصفات، ومخرجهما متقارب.

هذه هي أهم الظواهر التي تعتري صوت العين في عامية سيدي بلعباس. **أمينة طيبي ص 95 .**

ب- أصوات الفم

1) الأصوات اللهوية (القاف)

القاف واحدة من الأصوات التي أصابها التطور، فبعد أن كان صوتا مجهورا، أصبح اليوم صوتاً مهموساً، و فوق ذلك فهو صوت لهوي، شديد (انفجاري)، شبه مفخم يتشكل هذا الصوت بارتفاع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة. ثم يرفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق حيث يسد المجرى الأنفي. يحدث هذا دون تذبذب للوترين الصوتيين ثم يطلق سراح الهواء محدثا انفجارً مسموعاً هو القاف. **الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص** 179.

و القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوت شديد مهموس، رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة. و قد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن، لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى.

و قد تعرض ابن خلدون في مقدمته لنطق القاف بين البدو في عصره و وصفه وصفا غامضا بقوله : إنه بين القاف و الكاف. و يظهر أن ابن خلدون أراد بهذا ذلك النطق الذي لا نزال نسمعه بين البدو، و هو ما يشبه الجيم القاهرية. **ابراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 86.**

يعد هذا الصوت شبه مفخم، و هو فعلا كذلك في لهجة سيدي بلعباس، و تفخيمه مطلق دوما إلا في حالات قليلة جدا.فهم يقولون مثلا:

اللهجة	الكلمة الأصلية
نقدر	أقدر
شاقي	في شقاء
سقسي	أسأل

قبلوا	قبلوا
قبري	قبري
القابصة	العلبة
قينيني	أتركوني لحالي
عشقتيه	عشقتيه

و تطور الصوت بتغير مخرجه يكون بأحد طريقين، إما بانتقال المخرج إلى الوراء أو إلى الأمام، باحثا الصوت في انتقاله عن أقرب الأصوات شبها به من الناحية الصوتية. فتعمق القاف في الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهمزة، لوجود صفة الشدة في كل منهما. .... أما في الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية و الكاف؛ فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما. ابراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 87..

إن تفخيم سكان سيدي بلعباس لصوت القاف لم يتوقف عند هذا الحد، بل أنهم يبدلونه صوتا آخر أكثر جهرا، هذا الصوت هو الجيم القاهرية، و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على طباعهم البدوية الخشنة فتجدهم يقولون :

اللهجة	الكلمة الأصلية
قالوا	قالوا
تقصر	تسهر
قطعيني	اقطعي لي
القلب	القلب
الزرقة	السمراء

2) الخاء

الخاء صوت طبقي، رخو، مهموس، شبه مفخم، يشترك والغين في مخرج واحد. و فيه يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيين، ثم يجـــري جهة الحلق، إلى أن يصل الطبق ثم يمر الهواء محتكا بينه وبين أقصى اللسان. ينظر الأصــوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 179

و أول ما يلاحظ على هذا الصوت، بقاؤه سالما من الانحراف في لهجة سيدي بلعباس، فهو من الأصوات التي حافظت على صفاتها و مخرجها إلا إذا اضطرت إلى غير ذلك داخل بعض الكلمات، كتفخيمها و ترقيقها، مع أن التفخيم هو الغالب، فهو صوت شبه مفخم، و في لهجة سيدي بلعباس نجد هذه الصفة هي الغالبة عليه، أما ترقيقه فنادر. فهم يقولون :

اللهجة	الكلمة الأصلية
نخمم	أفكر
خيك	أخوك
تخاصمنا	تخاصمنا
خروضوني	دوخوني
خمرية	سمراء
خلوا	أتركوا
الخصلة	الصفة الحميدة
خودة	خود
خوضيه	اقترني به
الخير (بتفخيم شديد)	الخير
خاطره	خاطره

خواف	**خائف**
خيتي	**أختي**
الشيوخ	**كبار السن**
خيواني	**إخواني**
خلاطة	**تخلط العلاقات بين الناس**
خيرة	**خيرة**
خطيني	**لا شأن لي بالأمر**

3) **الغين**

الغين صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم، و هناك يضيق المجرى فيحدث الهواء نوعا من الحفيف، و بذلك تتكون الغين.**الأصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص 89.**

كالأصوات الأخرى حافظ الغين على بعض صفاته، و مع هذا فإنه يرقق في مواضع الترقيق، و يفخم في مواضع تستدعي تفخيمه، لكن تفخيمه هو الأكثر انتشارا في لهجة سيدي بلعباس. فيقولون مثلا :

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
غزالي	**غزالي**
زغيدة	**زغد**
بغاك	**أحبك**
مغروم	**مغرم**
غمق	**غرق**

الغالي	**الغالي**
الغالطين	**الغالطين**
بغيتوا	**أحببتم**
غافلين	**غافلين**
الغباين	**جمع غبينة**
الغنايات	**المغنيات**
غير	**سوى**
يغداش	**لا يذهب**
غادي	**ذاهب**
تغلط	**تغلط**
غامق	**كبير العمق**
غواني	**غواني**
غدو	**غدا**

في بعض الحالات، قد يضطرون إلى إبدال الصوت المجاور له كنتيجة لمبالغتهم في تفخيمه كقولهم : غلم في غنم حيث أبدلوا النون لاما الذي هو أيضا له قيمة تفخيمية في سياق معين فاختاروه لملاءمته ذلك.

و من مظاهر إبدال هذا الصوت، جعل مكانه نظيره المهموس الخاء فقالوا: يخسل في يغسل فاختاروا لصوت السين المهموس صوتا يشبهه في هذه الصفة و يكون من مخرج الغين، فوجدوا الخاء حتى تكون حركة اللسان في اتجاه واحد.

كذلك إذا جاورت صوت الهاء (هاء الضمير)، فإنك تسمعها خاء كقولهم : فرخا أي فرغها في قولهم : أفرغها من حمولتها . أمينة طيبي ص 102.

4) **الكاف**

" الكاف صوت شديد مهموس، يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسا كاملا، لاتصال أقصى اللسان بأقصى النك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء. فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثا صوتا انفجاريا هو ما نسميه بالكاف. غير أنه يظهر أن انفصال العضوين في النطق بالكاف العربية أبطأ منه في كثير من اللغات الأوربية، التي فيها الكاف أكثر شدة، فلا يسمع لانفجارها ذيول صوتية. **الأصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص 84، 85 .**

هذا الصوت لم يصبه التطور أيضا و التغير في عامية سيدي بلعباس بخلاف ما أصابه في العاميات الأخرى.

فالكاف مرققة في مواضع تستدعي الترقيق، و مفخمة في مواضع تستلزم ذلك، و ذلك تسهيلا للنطق.

فسكان هذه المدينة يجهرون بهذا الصوت في كثير من الكلمات كقولهم مثلا:

اللهجة	الكلمة الأصلية
بركاني	**يكفيني**
نبكي	**أبكي**
الكبيدة	**الكبد بصفته المصغرة**

و في هذه الحالات جهروا الكاف و فخموها، حيث جاورت صوتا مفخما، و هو صوت الباء.

و يقولون أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
ساكن	**ساكن**
مكتوبي	**مكتوب علي**

كحلة	**سوداء**
الضحكة	**الضحكة**
كاين	**كائن، يوجد**
نحكي	**أحكي**
كيفاه	**كيف**
كي	**كيف**

و يبدل صوت الكاف إلى جيم قاهرية في كلمة هكذا فتنطق هقــدا و هــذا لــشدة تفخيمها.

الأصوات الشجرية :

1) الشين

الشين صوت رخو مهموس، عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق ثم الفم مع مراعاة أن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين، فإذا وصل الهواء إلى مخرج الشين و هو عند التقاء أول اللسان و جزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى فلا بد أن يترك التقاء العضوين بينهما فراغا ضيقا يسبب نوعا من الصفير أقل من صفير السين، و ذلك لأن مجرى السين عند مخرجها أضيق من مجرى الشين عند المخرج. و يلاحظ عند النطق بالشين أن اللسان كله يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى، غير أن نسبة هذا الاقتراب أقل منه في حالة النطق بالسين.

و من أهم الخصائص الصوتية للشين في لهجة سيدي بلعباس، كما سمعناه من الناطقين بها هو جهرهم و تفخيمهم له في معظم الحالات، فهم يقولون في حرف الشين مثلا :

اللهجة	**الكلمة الأصلية**

مانيش	لست
مشحر	شحر
اعلاش	على أي شيء، لماذا
شاهدة	شاهدة
ما يغداش	لا يذهب
شاب (رأسي)	شاب
وحشك	وحشك
شمعة	شمعة
شحال	لمدة طويلة
نمشو	نمشي، نذهب
شافوني	رأوني
نشريك	أشتريك
شاقي	في شقاء
عايش	أعيش
باش	لكي
شيان	صار نحيلا
الشيوخ	الشيوخ (كبار السن)
واش	
شا	ماذا
شتا	
الشيرة	البنت

و يقولون كذلك (شكون) بتفخيم الشين إذا أرادوا الاستفسار عن هوية إنسان، و هي بمعنى من يكون؟ أو أي شيء يكون؟، حذف حرف الاستفهام (من؟) و بقيت كلمة يكون، و لما كرهوا لبدء بصوت اللين أبدلوه صوتا آخر من مخرجه، فلم يجدوا إلا الشين التي تناسبه في الصفات من دون الجيم. أمينة طيبي.

2) الجيم

الجيم صوت مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى المخرج، و هو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء. فإذا انفصل العضوان انفصلا بطيئا، سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو الجيم العربية الفصيحة. فانفصال العضوين هن أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، و لهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتا قليل الشدة. الأصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص 78، 79 .

تنطق الجيم في عامية سيدي بلعباس معطشة أي كثيرة الرخاوة، و لدينا نوعين من التعطيش:

أن تتحول أولا إلى صوت مزدوج مركب من دال مغور و شين مجهورة، و كأنك تسمعهم يقولون تشاج في دجاج (بشين مجهورة جدا حتى لا تكاد تميزها من الجيم. و قد نطقوا لجيم الأولى بتعطيش كبير، مما سمح بترك الثانية على حالها).

و ثانيا أن تتحول إلى صوت مزدوج مركب من دال و جيم، وهذا واضح في بعض الكلمات الموجودة و المتداولة بيننا إلى اليوم، و الملاحظة على ه>ه الكلمات أن صوت الجيم فيها جاور صوتا مجهورا كقولهم (ادزاير) في الجزائر، فعند نطقهم لصوت الجيم المعطشة هنا التقى صوتان مجهوران أبدل أحدهما من الآخر، بغرض التسهيل، ثم أدغم المثلان كاتالي:

جزائر دجزائر دززائر دزائر دزاير

و سقطت الهمزة من الكلمة أيضا لصعوبة تحقيقها فأصبحت الكلمة كما هي في صـــورتها الأخيرة و هي متداولة في لهجتهم العامية.

و هذه لأهم مميزات صوت الجيم في عامية سيدي بلعباس و التـــي يمكــن ملاحظتهـــا و لمسها ميدانيا، كما يقولون:

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
جاني	**أتاني**
نجمة	**نجمة**
جاي	**قادم**
نرجى	**أترجى**
ننجى	**أنجو**
جرب	**جرب**
جرحي	**جرحي**
جوب	**جواب**
الجوع	**الجوع**
نتاجنا	**أشخاص من نفس العمر**
يفرج	**يأتي بالفرج**
الجيل	**الجيل**
دجيني	**تأتيني**
جاب	**جاء بـــ**
جيبي	**جيئي بـــ**

جيبو جيؤوا بـــ

الأصوات اللثوية :

1) الراء:

الراء نوعان مرققة و مفخمة و الفرق بينهما يكمن في أن الراء المفخمة تعد مـــن الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق، و لكن الرسم العربي لم يمز لها برمز خاص يتغير بتغيره معنى الكلمة. و لهذا نعد كلا النوعين صوتا واحدا أو فونيما واحدا.

و الراء صوت مكرر، لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليـــا تتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مـــرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية.

و الراء كاللام في أن كلا منهما من الأصوات المتوسطة بين الشدة و الرخـــاوة، و أن كلا منهما مجهور. فلتكون الراء يندفع الهواء من الرئتين مـــارا بـــالحنجرة فيحـــرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى مخرجه و هو طـــرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء.

و الصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها. **الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص66،67.**

الراء من الأصوات التي لم يصبها التطور و الاختلاف في عامية سيدي بلعبـــاس، فهو صوت مفخم مع الفتحة كقولهم: (رب) في ربـــي...، و مرقـــق إذا كـــان مكـــسورا (ريح)...، لكن الملاحظ أن تفخيم الراء و ترقيقه، قد يكون مميزا لبعض المعاني المختلفة كقولهم للبيت (الدار)، و للذي قام بعمل فأنجزه و أتمه (دار).

فـــ: دال، ألف، راء فونيمات واحدة لم تتغير و مع ذلك تغير المعنى، فلـــو قمنـــا بالمقابلة الفونولوجية لهذا الصوت نجد:

برد ر (مفخمة) بمعنى برد الخشب أو غيره باستعمال المبرد

برد ر (مرققة) بمعنى برد من شدة البرد

إما أن نقول
فونان مختلفان (راء مفخمة، و و أخرى مرققة)
لفونيم واحد (الراء).
فونيم واحد (الراء) لمعنيين مختلفين

و مثله أيضا:

البراد ر (مرققة) الذي يوضع فيه الشاي
البراد ر (مفخمة) الذي يبرد الخشب

و أيضا:

راب (إذا أوشك على السقوط)
راب (إذا تغير طعمه إلى طعم آخر، راب الحليب أي تخثر)

راب ر (مرققة) فونيم واحد لمعنيين مختلفين.
راب ر (مفخمة) أو فونان مختلفان لفونيم واحد.

و إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة. فهذا الصوت قادر على تمييز المعاني في بعض الكلمات –كما رأينا– و أظن أنه أكثر الأصوات الأخرى تمييزا و تفردا بهذه القيمة الفونولوجية.

و يقولون كذلك:

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
الدار	**المنزل**
الراي	**الرأي (نوع من الغناء)**
راني	**إنني**
راه	**إنه**
راه	**لقد**
مشحر	**شحر**

معطر	**معطر**
العمبر	**العنبر**
ربي	**رب**
راهم	**إنـهم**
الشيره	**البنت**
حيران	**محتار**
راحت	**ذهبت**
جرب	**جرب**
الهدرة	**الكلام الزائد**

2)اللام:

اللام نوعان مرققة و مغلظة. على أن الأصل في اللام العربية الترقيق، و لا يجوز الرجوع عن هذا الأصل عند جمهور القراء إلا بشرطين:

1- لأن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء " و لاسيما الصاد و الطاء و الظاء" ساكنا أو مفتوحا.

2- أن تكون اللام مفتوحة.

و اللام صوت متوسط بين الشدة و الرخاوة، و مجهـور أيـضا. و يتكـون هـذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين. ثم يتخذ مجراه في الحلق و على جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعا ضعيفا من الحفيف. و في أثنـاء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليـا و بذلك يحال بين الهواء و مروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه. ابراهيم أنيس ص65.

فاللام مفخمة – DARK-1 – و مرققة – BRIGHT-1 – و الأصل فيها الترقيق. و لا يجوز تفخيمه إلا بمجاورته أحد الأصوات المستعلية و لاسيما الصاد، الطـاء، الظـاء و

الضاد ساكنا كان أم مفتوحا، أو أن تكون اللام نفسها مفتوحة.الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل .174

.......حافظ هذا الصوت أيضا على هذه الخصائص في عاميتهم فنجده مفخما في قولهم: (لوطو) و هي كلمة أجنبية أصلها L'AUTOMOBILE، و تنطق هكذا بلام مفخمة و السبب مجاورتها لصوت الطاء المفخم. فأبدلوا التاء (T) من الكلمة الفرنسية إلى صوت مجهور مفخم (ط)، و لم يتركوه تاء مع التاء مع أن التاء موجودة أيضا في الألفبائية العربية، و هذا من باب تفخيم الكلام لا غير.أمينة طيبي

كما تحل اللام مكان ألف و لام التعريف.

.......و هكذا يتراوح سكان المنطقة فيما بينهم بين تفخيم اللام و ترقيقها، أما عن إبدالها، فإنها تبدل من النون في كلمات كثيرة نتيجة لقرب المخرج أولا و لاشتراكها معها في الكثير من الصفات ثانيا كقولهم : فنجال في فنجان .

و كذلك شاع بينهم اسم بلعباس – و منه تسمية المدينة باسم الولي الصالح – و أصل هذا الاسم : ابن عباس فأبدلوا النون هنا إلى لام ثم وصلوها بالاسم فصارت اليوم لا تنطق و لا تسمع غير هذه الكلمة: بلعباس .

....أما إبدالها إلى الراء فمن باب الإدغام و منه يقولون : في (دخل راسك) (دخراسك) بسين مفخمة كأنها صاد أي تدخل فيما لا يعنيك .

...هذه أهم مميزات صوت اللام في العامية العباسية من حيث تفخيمه و ترقيقه، إدغامه، و إبداله، و ما إلى ذلك من الظواهر الصوتية التي تعتريه.

و يقولون في حرف اللام أيضا:

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
الليالي	**الليالي**
طال	**طال**
مدبالة	**مدبالة**

الأصل	الأصل
إيلى	إذا
اللي	الذي
ولا	أو
لبنية	البنية
لنظار	الأنظار
غزالي	غزالي
دبايلي	ذبل حالي
لاتاي	الشاي
لياس	اليأس

3)النون:

.....صوت مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة ففي النطق به يندفع الهواء من الـــرئتين محركا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم و يتسرب الهواء من التجويف الأنفي محـــدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع. فهي في هذا كالميم غير أنه يفرق بينهمـــا أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا، و أن الشفتين مع الميم هما العــضوان اللذان يلتقيان.

.....و يعرض للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرهـــا بمـــا يجاورها من أصوات، و لأنها بعد اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعا في اللغة العربيـــة، و النون أشد ما تكون تأثرا بما يجاورها من أصوات حين تكون مشكلة بالسكون، حينئــذ يتحقق اتصالها بما بعدها اتصالا مباشرا.

.....و بين إظهار النون و إدغامها إدغاما كاملا، نلحظ درجات مختلفة لتأثر النون هي:

1- إخفاؤها.

2- إدغامها إدغاما ناقصا و هو فناء النون مع بقاء ما يشعر بها، و هو الذي اصطلح على تسميته الإدغام بالغنة.

3- قلبها إلى ميم.

....حافظ هذا الصوت على مخرجه و صفاته و الكثير من خصائصه التشكيلية في لهجة سيدي بلعباس، فهو صوت مجهور في أصله إذ يقولون (بنك) و يعني المقعد الصغير الذي يجلس عليه.

و يهمس إذا جاور صوتا مهموسا مثل قولهم (نيفك) في أنفك بنون مهموسة.

كذلك تفخم إذا جاورت صوتا مفخما (قنطان) أي قانط من القنوط، و هنا تتغير صفة النون بحكم المجاورة جنوحا نحو السهولة، فترقق في مواطن تلزمها الترقيق و تهمس في مواضع تفرض عليها ذلك، و هكذا.

....أما إبدالها فهي تبدل من اللام و تبدل إلى لام مثل (سنسلة) في سلسلة ثم إنها تبدل ميما إذا جاورت صوت الباء مثل (ممبعد) في من بعد و قصدهم فيما بعد، و(عمبر) في عنبر.

....أما إدغامها ففي الراء كقولهم (وراح) في أين راح؟ أي أين ذهب؟ و مع الدال كقولهم (مدار) أي من الدار.

و يقولون في النون أيضا:

اللهجة	**الكلمة الأصلية**
هاني	**في هناء**
منك	**منك**
مانيش	**لست**
لنداام	**من الندم**
فلان	**فلان**

الدنيا	الدنيا
العين	العين
الزينة	الزينة
المحنة	المحنة
ساكنة	ساكنة
النعناع	النعناع
العمبر	العنبر
الفن	الفن
نحكي نبكي نوصل	تحل النون محل الألف عند تصريف أي فعل إلى ضمير المتكلم

4)الضاد:

....الضاد أحد أصوات الإطباق. فعند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا، كما يرجع إلى الوراء قليلا..... و الضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا هو الضاد. ابراهيم أنيس ص48

....بعد أن كان الضاد الصوت الوحيد المطبق الذي لم يقابل بنظير كما هو في وصف النحاة و اللغويين العرب القدامى أصبح اليوم صوت الدال نظيره المرقق في عربيتنا الفصحى المعاصرة. فقد أصابه تغير في مخرجه و صفته "فهو صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مجهور مفخم. و هو الصوت المناظر للطاء المهموسة المفخمة، كذلك لا فرق بين صوت الدال و الضاد سوى أن الدال صوت مرقق". الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص164.

....مر هذا الصوت بتغيرات كثيرة في النطق الفصيح و العامي و هو في لهجة سيدي بلعباس ظاء مرة و دال مرة أخرى، لأنه مفخم دوما في معظم الكلمات، فسكان المنطقة البدو يجنحون نحو نطقه مفخما – نطقه الحالي– أما سكان المدينة فإنهم يميلون إلى نطقه دالا مفخمة.

فيقولون في تفخيمها مثلا (ضو) في ضوء، و يبدلونها من الدال لأجل التفخيم في قولهم (ضرك) في (دروك) أي الآن.

أما أهل المدينة فلا تكاد تسمع عندهم إلا صوت الدال كقولهم (دروك) بمعنى الآن، و (نود) في انهض.

و يقولون في الضاد أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
لضرار	الأضرار
الهضرة	الكلام الكثير
ضياف	جمع ضيف
خروضوني	دوخوني
عضرا	عذراء
مضات	مضت
الضحكة	الضحكة
انفضحوا	ظهروا على حقيقتهم
ناضو	نهضوا
خوضيه	اقترني به

الأصوات الأسنانية اللثوية :

1) الصاد :

صوت رخو مهموس، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق. فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعا مخالفا لوضعه مع السين، إذ يكون مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، مع تصعد أقصى اللسان و طرفه نحو الحنك و مع رجوع اللسان إلى الوراء قليلا ككل الأصوات المطبقة.

حافظ هذا الصوت على تفخيمه في لهجة سيدي بلعباس (لهجة أصحاب المدينة و لهجة البدو) على السواء فقالوا (الصهد) و (الصابون) و غيرها بصاد مفخمة و قد بلغ بهم التفخيم إلى إبدال السين صادا مثل (صوق) في سوق و (راص) في رأس. و يمكن أن يحدث العكس فتبدل الصاد سينا كقولهم (رخيس) في رخيص. كما تبدل إلى زاي كقولهم (الزدر) في الصدر.

و هذه هي أهم التغيرات التي تعتري صوت الصاد في عاميتهم اليوم.

و يقولون كذلك:

اللهجة	الكلمة الأصلية
صار	صار
انصيبك	أجدك
الأصل	الأصل
تقصر	تسهر
القابصة	العلبة
الخصلة	الخصلة
صاب	وجد

2) السين:

صوت رخو مهموس يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللهجات العربية، بل و باختلاف الأفراد أحيانا. ففي بعض اللهجات يشتد صفير السين عنها في البعض الآخر، بل و قد يختلف قليلا وضع اللسان معها.... و تتميز السين أيضا بأنه عند النطق بها تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدا. كما أن السين العربية عالية الصفير إذا قيست بها السين في بعض اللغات الأوربية كالإنجليزية مثلا.

فللنطق بالسين يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى المخرج و هو كما تقدم عند طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان و الثنايا مجرى ضيق جدا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي. هذا إلى اقتراب الأسنان العليا من السفلى في حالة النطق بهذا الصوت. ابراهيم أنيس ص76،77.

هذا الصوت يفخم به في عامية سيدي بلعباس حيث يبدل إلى نظيره المفخم الصاد كقولهم (صوق) في سوق، كما أنهم يجهرون به فيحولوه إلى نظيره الزاي كقولهم (زفيزف) في سفيزف، فجهروا السين و أبدلوها صوتا آخر يناسب الزاي في الجهر، و يلائم السين في المخرج و الصفات فكان صوت الزاي. أمينة طيبي.

و يقولون في السين أيضا:

اللهجة	الكلمة الأصلية
سبابي	أسبابي
لباس	لباس
التبسيمة	البسمة
نسيت	نسيت
سيرة	سيرة
صهران	سهران

صقسي في سقسي	اسألي
يسالوني	يسألوني
سبة	سبب
نعاسي	نعاسي
لياس	اليأس
ساكن	ساكن
سيدي ياسين	حي بسيدي بلعباس
وسواس	وسواس

3) الزاي :

صوت رخو مجهور يناظر صوت السين، فلا فرق بين الزاي و السين إلا في أن الزاي صوت مجهور نظيره المهموس هو السين. فللنطق بالزاي يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه من الحلق و الفم حتى يصل إلى المخرج و هو التقاء أول اللسان (مشتركا مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثنايا السفلى أو العليا على النحو المتقدم شرحه مع السين. إبراهيم أنيس ص 77.

و حافظ صوت الزاي على جهره في لهجة سيدي بلعباس، حيث أبدل من الصاد و من السين كما رأينا، أضف إلى ذلك أنه صوت مرقق لكنه يفخم في كثير من الكلمات كقولهم (زرقة) في زرقاء اللون، و من ترقيقهم صوت الزاي قولهم (زنزلة) في الزلزال. و هكذا هي أهم خصائص صوت الزاي في عامية سيدي بلعباس.

و يقولون فيه كذلك :

اللهجة	الكلمة الأصلية
زهري	حظي

غزالي	غزالي
يزورها	يزورها
الزقى	الصراخ
الزينة	الزينة
زيد	زد أي أضف
الزعاف	الغضب
زاهية	زاهية
زمان	زمان

4)الطاء:

الطاء كما نعرفها لا تفترق عن التاء في شيء، غير أن الطاء أحد أصوات الإطباق فالطاء كما ننطق بها الآن صوت شديد مهموس يتكون كما تتكون التاء، غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، ويرجع إلى الوراء قليلا. ابراهيم أنيس ص62.

حافظ هذا الصوت على تفخيمه في لهجة سيدي بلعباس فقالوا (طبيب) و (مطرح) و هو نوع من الأفرشة، و قد بالغ سكان المنطقة في بعض الأصوات الأخرى فأبدلوها طاء كقولهم (طورو) في ثور حيث أبدلوا الثاء طاء. كما أبدلوا الطاء تاء في قولهم (بتيخ) و أصل الكلمة بطيخ. أمينة طيبي.

و يقولون في الطاء أيضا:

اللهجة	الكلمة الأصلية
فاطمة	فاطمة
طامع	طامع

الطلبة	جماعة من رجال الدين
عطاوها	أعطوها
معطر	معطر
قطعيني	اقطعي لي
طال	طال
طايلة	الدهر أو العمر الطويل
خلاطة	تخلط العلاقات
طفرت	طفر
غلطة	غلطة
طفلة	طفلة

5) التاء:

صوت شديد مهموس، لا فرق بينه و بين الدال سوى أن التاء مهموســة و الــدال نظيرها المجهور. ففي تكون التاء لا يتحرك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق و الفم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا انفــصالا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري. ابراهيم أنيس ص62.

هذا الصوت حافظ على مخرجه في عامية سيدي بلعباس، و على همسه و ترقيقه، لكنه لم يسلم من تفخيمهم له كقولهم مثلا: (الطراويح) في التراويح، فالسامع لهذه الكلمة على ألسنة الكبار يحكم على أنها شبه مفخمة لمجاورتها صوت الراء، فتسمع كأنها طاء.

ثم إنهم أبدلوا تاء التأنيث المربوطة في آخر الأسماء هاء مطلقة فلا تسمع في كلامهم تــاء التأنيث في الحديث العادي أبدا و مثل ذلك قولهم : (حجره) في حجرة.

و هكذا كل الكلمات التي تنتهي بتاء التأنيث وقفوا عليها بهاء، كما أبدلوا التاء من الفاء في قولهم : (شت) في شفت، حيث أبدلوا الفاء تاء، و أدغمت بعد ذلك لالتقاء المثلان. و مما

نلاحظه أيضا خاصة عند سكان المدينة جنوحهم نحو صوت التاء في الكلمات التي تحتوي أصلا على ثاء مثل قولهم (تلج) في ثلج و (توم) في ثوم. و هنـــا نلاحـــظ ميـــولهم إلـــى الصوت الأقل جهدا في النطق.

و يقولون في حرف التاء أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
لبنيه	البنية
العقليه	العقلية
العربيه	العربية
الروميه	الرومية
نتمنى	أتمنى
المكتوب	المكتوب
لاتاي	الشاي
تحمى	تحمى أو تسخن
اختي	أختي

6) الدال :

الدال صوت شديد مجهور، يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هنـــاك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمـــا، فـــإذا انفـــصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه بالدال فالتقاء طرف اللسان بأصـــول الثنايا يعد حائلا يعترض مجرى الهواء و لا يسمح بتسربه حتى ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا يتبعه ذلك الانفجار. ابراهيم أنيس ص 48.

هذا الصوت لم يصبه التطور كثيرا في لهجة سيدي بلعباس إلا عندما يفخم، فيبـــدل إلى ضاد كقولهم (ضروك) في دروك أي الآن. ثم إن سكان المدينة يجنحون إلى السهولة في كلامهم و من أجل ذلك فإنهم لا يحققون إلا صوت الدال في كلامهم مـــن دون الـــذال كقولهم (دبانه) في ذبابة و (الدهب) في الذهب.

كما يبدل الدال من التاء في بعض الكلمات كقولهم (دجي) في أتجيء ؟ حيث حذفوا همزة الاستفهام الأولى و الهمزة الأخيرة، ثم أبدلوا التاء دالا حتى يكون عمل اللسان على جهـــة واحدة، فالجيم صوت مجهور، و التاء صوت مهموس، و لكي لا ينتقل اللسان من الأعلى إلى الأسفل أبدلوا التاء صوتا يوافقها مخرجا و صفة و يناسب الجيم في صفة الجهـــر، و هو صوت الدال المجهور.و هذه هي أهم أحوال الدال في عامية سيدي بلعباس فهم يقولون أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
مدباله	مذبلة
الدين	الدين
الهدرة	كثر الكلام
يهديك	يهديك
اداوها	أخذوها
ديك	تلك
شاهدة	شاهدة
دار بالترقيق	فعل
دار بالتفخيم	منزل

الأصوات الأسنانية :

1) الظاء :

صوت مجهور كالذال تماما، و لكن هذا الصوت يختلف عن الذال في الوضع الذي يأخذه اللسان مع كل منهما، فعند النطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا... و يرتفع طرف اللسان و أقصاه نحو الحنك و يتقعر وسطه، كما يرجع اللسان إلى الوراء قليلا، و لذلك اعتبر القدماء الظاء أحد أصوات الإطباق. ابراهيم أنيس ص **47**، **48**.

حافظ صوت الظاء على تفخيمه في عامية سيدي بلعباس، حتى في حالة إبداله دالا أو ذالا أو ضادا فقد نطق المبدل منه مفخما كقولهم (دهر) في ظهر و (ذفر) في ظفر و (ضلمة) في ظلمة. و لعل هذه أهم خصائص صوت الظاء كما سمعناها في عامية سيدي بلعباس.

و يقولون أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
لنظار	الأنظار
ظياف	الضيوف
لظرار	الأضرار
خروظوني	دوخوني
ظحكة	ضحكة
ناظوا	نهضوا

2) الثاء :

صوت أسناني احتكاكي مهموس مرقق، يتشكل بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا مع ترك ممر ضيق بينهما، يمر منه الهواء الرئوي مشكلا صوت الثاء. كل

هذا يتم دون ذبذبة للوترين الصوتيين، مع اتخاذ اللسان وضعا مستويا و يرتفع الطبق ليسد التجويف الأنفي. الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل ص 159.

لا فرق بين الذال و الثاء إلا في أن الثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الـــوتران الصوتيان. فالذال إذا صوت مجهور نظيره المهموس هو الثاء.ابراهيم أنيس ص 47.

هذا الصوت أبدل في لهجة المدينة تاء مطلقة فلا تسمعهم ينطقون إلا بالتـــاء فهـــم يقولون مثلا:

اللهجة	الكلمة الأصلية
لتنين	الاثنين
توم	ثوم
تلج	ثلج

3) الذال :

صوت رخو مجهور، يتكون بأن يندفع معه الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الـــوترين الصوتيين، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، و هـــو بين طرف اللسان و أطراف الثنايا العليا، و هناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا قويـــا من الحفيف.ابراهيم أنيس ص 47.

و الأصل في هذا الصوت الترقيق، لكنه يفخم في عامية سيدي بلعباس فينطق ظاء كقولهم (فخظ) في فخذ، و يبدلونه دالا مطلقة لسهولتها مثل قولهم (داب) في ذاب.
كذلك يقول أهل المنطقة (ديه) في خذيه، و لعلهم أبدلوا الذال دالا فأصبحت (خديـــه)، ثـــم أبدلوا الخاء دالا و بعدها أدغموا المثلين. و لعل هذه أهم مميزات صوت الذال في عاميـــة المنطقة. أمينة طيبي

و يقولون في الذال أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
عدابي	عذابي
تكدبني	تكذبني
عضرا	عذراء
هدا	هذا
خودة	خوذة

الأصوات الشفهية الأسنانية :

الفاء :

الفاء العربية صوت رخو مهموس، يتكون بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى مخرج الصوت و هو بين الشفة السفلى و أطراف الثنايا العليا. و يضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعا عاليا من الحفيف هو الذي يميز الفاء بالرخاوة. و ليس للفاء العربية نظير مجهور كذلك الذي نشهده في معظم اللغات الأوربية. ابراهيم أنيس ص 46.

إن أهم ميزة نلاحظها في هذا الصوت هي همسه و ترقيقه، لكننا نلمس تفخيمه في لهجة سيدي بلعباس كقولهم: (فوطه) و هي قماش تستتر به المرأة نفسها و قولهم (فوراره) و هو نوع من القماش تضعه العجائز على رؤوسها. و هكذا يفخم أهل المنطقة صوت الفاء في باقي الكلمات متى جاور صوتا مفخما آخر، مثل الطاء أو الراء المفتوحة التي لم تسبق بكسرة. كذلك أبدلوها بتاء ثم أدغموها كما رأينا سابقا في قولهم (شت) بدل شفت، و مثله إبدالها صادا و إدغامها في قولهم (نص) في نصف.

و هكذا تبقى هذه المظاهر المتعلقة بهذا الصوت أبرزها في لهجة سيدي بلعباس.

و يقولون في الفاء أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية

فاطمة	فاطمة
فلان	فلان
يفتح	يقرأ الفاتحة
بزاف	بجزاف
طفلة	طفلة
الفن	الفن
خواف	خائف
الفرقة	الفرقة
كي كيش كيفاه كيفاش	كيف

الأصوات الشفهية :

1) الميم :

صوت مجهور لا هو بالشديد و لا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة. و يتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصـــل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجراه في التجويـــف الأنفي، محدثا مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع. و في أثناء تـــسرب الهـــواء مـــن التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق. و لقلة ما يسمع للميم من حفيف اعتبرت في درجة وسطى بين الشدة و الرخاوة.لأن خاصية الأصوات الشديدة هـــي الانفجـــار حـــين

النطق بها، و خاصية الأصوات الرخوة هي نسبة الحفيف الذي قد يصل في بعض الأصوات الرخوة ذإلى صفير، كما في السين و الزلي ...الخ.ابراهيم أنيس ص 46،45.

الميم كالفاء من الأصوات التي فخمت في عامية المنطقة مع أنها ليست من الأصوات المفخمة، و لا من الأصوات التي قد تفخم في بعض الحالات كاللام و الراء، فتجدهم يفخمونها في قولهم مثلا: مك في أمك.

أما عن إبدالها فمن النون كقولهم (جمب) في جنب و من الباء كقولهم (رجم) في رجب. عدا هذان الصوتان فلم نسمع إبدالها من صوت آخر، أو إلى صوت آخر، ربما لأن طريقة إخراجه سهلة و غير شاقة فلم يحتاجوا إلى إبداله بصوت آخر يحل محله، ما عدا صوت الباء الذي يشاركه في المخرج، و النون التي تشاركه في الغنة، و لعل هذه أهم خصائص صوت الميم في عامية سيدي بلعباس. أمينة طيبي.

و يقولون في الميم أيضا :

اللهجة	الكلمة الأصلية
فاطمة	فاطمة
التبسيمة	البسمة
طامع	طامع
ممبعد	من بعد
مقواني	لا قوة لي
لميمة	الأم
مانيش	لست
ما	حرف يفيد النفي
ممو عينيا	قرة العين
ديما	دائما
خمرية	سمراء

صاحب الشيء	مول
أهلها	اماليها

2) الباء:

صوت شديد مجهور، يتكون بأن يمر الهـواء أولا بـالحنجرة فيحـرك الـوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقا كاملا. فإذا انفجرت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء. فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندهما، ثم تنفرجان فجأة فيسمع صـوت البـاء. ابراهيم أنيس ص **45**.

هذا الصوت المجهور يرد مرققا في عاميتهم كقولهم (بيدو) فـي الـدلو و (بكري) أي في وقت مبكر، إلى غيرها من الكلمات التي يرقق فيها صوت البـاء و لعـل أكثرها إذا ورد ساكنا، أو كان مكسورا.

أضف إلى ذلك أنه يفخم في بعض المواضع التي تفرض عليه هـذه الـصفة التـشكيلية، كمجاورته لصوت مفخم مثل قولهم : (طبيب) فالباء الأولى مفخمة، و الثانية مرققـة لأن الكسرة التي قبلها حالت دون ذلك.

و هكذا فإن للباء مواقع يفخم فيها، و هذه المواقف كلها تتوعها الدراسات الصوتية، و أما عن إبداله فأبدل إلى ميم كما رأينا في قولهم (رجم) بدل رجب و هو مـن الأشـهر الهجرية، كما يبدلونها راء في كلمة واحدة هي قولهم: (قرقاب) في قبقاب و هو نوع مـن الأحذية تلبسه المرأة فقط يحدث صوتا معينا على الأرض. و من أمثلة إبدالهم الباء نونـا كلمة واحدة هي (دبانة) في ذبابة نوع من الحشرات. أمينة طيبي.

لعل هذه الخصائص التي لحقت صوت الباء في عامية سيدي بلعباس هي الأكثر انتشارا و شيوعا بين سكانها (من أهل المدينة أو البادية)، و عدا هذه الخصائص لم نصادف ظاهرة أخرى ترتبط بالباء.

و يقولون في الباء أيضا :

الكلمة الأصلية	اللهجة

نبكي	**أبكي**
يبرى	**يشفى**
القصبة	**آلة موسيقية**
صاب	**وجد**
دبايلي	**دبل حالي**
القابصة	**العلبة**
اصبر بالتفخيم	**اصبر**
براد	**ابريق الشاي**

لقد حاولنا الإلمام بالمظاهر الصوتية التي تمتاز بها لهجة سيدي بلعباس اليوم و لا نزعم أننا جمعنا كل الخصائص الصوتية لهته الأخيرة و لاحظنا أثناء دراستنا أن "لهجة سيدي بلعباس في معظم مظاهرها الصوتية ما هي إلا تطور مستمر و طبيعي للهجات العربية القديمة" أمينة طيبي.

و من المظاهر اللهجية الأخرى التي لاحظناها في لهجة سيدي بلعباس نذكر :

1) حذف لام و ألف (على) الجارة :

و مثل ذلك قولهم (يكتب علحيط) أي يكتب على الجدار حيث حذفت ألف (على) لالتقائها ساكنة مع لام المعرفة الساكنة ثم حذفت لام (على) لكراهية اجتماع المثلين.

2) حذف نون من الجارة :

لو تتبعنا حرف الجر (من) في عامية سيدي بلعباس لوجدنا أن هذه النون محذوفة دائما، و إن لم تحذف أبدلت لاما و ذلك كقولهم :

اللهجة	**الكلمة الأصلية**

مدار	من الدار
ملهيه	من هناك
ملخزنة	من الخزانة
ملبيت	من البيت

3) القطعة :

و هي حذف في الكلام سواء وقع الحذف على الاسم أو الفعل، اقتصادا للجهد العضلي عند العملية الكلامية، لأن الأصل في الكلام أن تعطي الأصوات حقها في النطق. و لعل هذا يعود بنا إلى القول أن الحذف سمة من سمات البدو تماشيا مع السهولة التي ينشدونها في حياتهم، هذا لا يعني أن الحضر لم يكونوا أهل حذف بل نجده عندهم أيضا. أمينة طيبي.

هذه الظاهرة أمثلتها كثيرة في لهجة سيدي بلعباس، فكثير من الأمثلة أصابها الحذف، و أسقطت بعض أصواتها أثناء الكلام سواء كانت في وسط أو في آخر الكلمة كقولهم :

اللهجة	الكلمة الأصلية
عبدق	عبد القادر
شكون	من يكون
ما كانش	ما كان شيء
كيسموك	كيف اسمك
عبدل	عبد الله
ما نعرفش	ما أعرف شيئا
جاب	جاء بكذا

إلى غير ذلك من الكلمات الأخرى التي لا يمكن حصرها، و لعل السبب في الحذف هو السرعة في الكلام، هذه السرعة هي التي أدت إلى عدم تحقيق الأصوات و إسقاط بعضها.

أضف إلى ذلك أننا نتحدث بكلمات نضنها بذيئة، و في الواقع هي كلمات عربية فصيحة. أما الجيل الجديد فقد حرف هذه الخصائص كثيرا، و تخلى عن الكثير من منطوق اللهجات العربية، ففي لهجاتنا اليوم مثلا لا نكاد نسمع على ألسنة الشباب إلا مزيجا من الفرنسية و الإسبانية و الإنجليزية و من أمثلة ذلك في لهجة سيدي بلعباس :

اللهجة	الكلمة الأصلية
القابصة	CABSHA
ترانكيل	TRANQUILLE
تنارفيني	TU M'ENERVES
جوني مار	J'EN AI MARRE
اتيليفوني	TU TELEPHONES
الكولا	LA COLLE

الفصل الثالث

لهجة سيدي بلعباس: دراسة معجمية

1) قصور المعنى المعجمي
2) صعوبة تحديد المعنى و الخلاف القائم حوله
3) تغير المعنى حسب ظروف صدور الكلام
4) المعنى المعجمي لأهم الألفاظ المميزة للهجة سيدي بلعباس

1) قصور المعنى المعجمي:

قد يتصور بعض المبتدئين في الدراسة اللغوية أن "علم الدلالة" أو "دراسة المعنى" قاصر على اللغات التي لم يوضع لها بعد "معاجم" أو "قواميس". فاللغات ذات المعاجم في غنى عن هذه الدراسة لأن "المعاجم" تمدنا بمعاني الكلام.

و هذا تصور خاطيء لأن المعنى "القاموسي" أو "المعنى المعجمي" ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام فثمة عناصر "غير لغوية" ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام: و ذلك كشخصية المتكلم، أو شخصية المخاطب، و ما بينهما من علاقات، و ما يحيط بالكلام من ملابسات و ظروف ذات صلة به، كالجو مثلا، أو الحالة السياسية..الخ. و من حضور غير المتكلم و غير المخاطب و علاقتهم بهما.

و كل هذا لا يتضح على أجلى وجه إلا فيما يسمى "الكلام الحي" الذي نستطيع أن نسجل فيه نطق الكلام، و الذي تتضح فيه خصائصه البارزة مثل التنغيم، و الارتكاز، و الذي نستطيع معه ان نتحقق من شخصيتي المتحادثين أو من شخصيات المتحادثين، و أن نحدد ما بينهما أو ما بينهم من علاقات، و أن ندرك الظروف الملابسة للكلام.[1]

فأين أي معنى من هذه المعاني من "المعنى القاموسي"؟ إن القاموس يعرفنا أن "صباح الخير!" هي تحية الصباح، و قد يحدد زمان استعمال هذه التحية إن لم تكن مستعملة في تاريخ اللغة من أوله إلى لحظة الدرس، و قد يزيد فيحدد مكان استعمالها، إن كانت مستعملة في بيئة دون بيئة من البيئات الكلامية التي تستعمل هذه اللغة. إن القاموس بطبيعته لا يستطيع أن يحصر جميع السياقات التي تقع فيها هذه العبارة، و كل عبارة، و كل كلمة من كلمات اللغات و عباراتها، و إن فصل فهو لا يفصل إلا في إيراد "أنواع" من دلالات الكلمة أو العبارة، و هكذا يظل تحديد معنى الكلام محتاجا إلى مقاييس و أدوات أخرى غير مجرد النظر في القاموس.

---

[1] محمود السعران: علم اللغة، ص 288.

إن معنى "الكلام"، لا يأتي فصله بأية حال من الأحوال عن "السياق" الذي يعرض فيه.[1]
فإذا أخذنا كمثال قول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري:

و الأرض حارت أتلقى الفجر ضاحكة

لأمها الشمس أم تبكي ابنها القمر !؟.

فالشمس عنده أم الأرض، و جدة القمر، و لن ينص أي قاموس على هذه العلاقة. هذا من المجاز، و ليس من اليسر أن يحضر قاموس مجازات اللغة كلها إلا إذا أحصى كلام المتكلمين كلهم في جميع أحوالهم، و في جميع عصور اللغة، و توهم ما سيخلفونه من ألوان المجاز، و هذا مستحيل من غير شك.[2]

و لا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية، فالمفروض أن واجب المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني "المفردات"، و تطور هذه المعاني بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، و هذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدق تمثيلا للنطق من الأبجدية التقليدية.[3]

و ما يؤسف له أن قاموسنا العربي لا يؤرخ لنا معنى الكلمات، أي تطور المعنى على ممر العصور كما يفعل القاموس العصري للغة العصرية كقاموس اكسفرد للغة الإنكليزية. فإنك إذا فتشت فيه عن معنى كلمة بسيطة مثل "" لوجدت أن هذه اللفظة مرت في أطوار عديدة و في كل طور كان لها معنى يختلف قليلا، و أحيانا كثيرا، عن المعنى السابق.[4]

2) صعوبة تحديد المعنى و الخلاف في القائم حوله:

إن تحديد المعنى أمر على جانب كبير من الصعوبة، و إنا انلاحظ هذا في استعمالاتنا اليومية للكلام، و إن كثيرا مما يصيبنا في حيلتنا من خلافات و مشقات، و آلام، مرجعه أننا لا نعرف بصورة واحدة معنى ما نقوله، أو ما يقال لنا، أو ما نسمعه، أو نقرؤه. فالصعوبة في إدراك المعنى، و الخلاف عليه ليسا قاصرين على "اللغة الأدبية" أو

---

(1) م. س، ص 289، 290.
(2) م. س، ص 291، 292.
(3) م. س، ص 136.
(4) فريحة أنيس: اللهجات و أسلوب دراستها، ص 94.

"النصوص القديمة" في لغتنا، و لا على لغة أجنبية أخذنا منها بنصيب، إنهما ليعدوان هذا إلى لغتنا التي نستعملها في حياتنا اليومية، و التي لا نجيد من اللغات مثلها. فالخلاف على معاني الألفاظ و العبارات كثير في حياتنا و هو يقع بين أقرب الناس، يقع بين الأخ و أخيه و بين الزوج و زوجه، و نسبة كبيرة من الخلافات الزوجية تقوم لأن الرجل "لم يفهم" المرأة، و هي تعجب لأنه لم يفهمها، و لأن المرأة "لم تفهم" الرجل، و هو يعجب لأن كلماته في نظره بسيطة واضحة كل الوضوح.[(1)]

و من كل هذا، فإن كل منا يصدر في كلامه عن عالم خاص به، فلكل تجاربه و حياته، و قد تتقارب تجارب اثنين و حياتهما، و لكن التطابق التام في جملة التجارب و تفصيلات الحياة أمر مستحيل. و لذلك لا يتعلم شخصان نفس الكلمة في نفس الظروف تماما، و في نفس الوقت؛ قد "يسمعانها" معا من نفس الشخص و في نفس المكان، و في أحوال مشتركة..الخ. و لكن "استجابة" هذا نحو الكلمة الجديدة لا تكون مطابقة لاستجابة ذاك نحوها، و مرجع هذا أن لكليهما تكوينه النفسي، و ينتج عن هذا أن فهم هذا لهذه الكلمة ستلونه إيحاءات، و ظلال من المعاني، غير الإيحاءات و ظلال المعاني التي تلون فهم الثاني لنفس الكلمة. و هذا هو ما يعنيه هرمان بول (Herman Paul) بقوله إن كل خلق لغوي –و كل إعادة للخلق اللغوي– هو من عمل الفرد و إنه ليظل من عمل الفرد.

و يمكننا القول أن لكل كلمة من الكلمات مضمونا منطقيا و مضمونا، أو ارتباطا نفسيا، و المضمون "المنطقي" و هو المعنى الذي ينص عليه القاموس في الأغلب، يكون الاشتراك في فهمه واحدا أو شديد التقارب، و لكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرا، و لا يمنع هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته و مما يرتبط به من ظلال المعاني.[(2)]

و تحرص العامية على تحديد المعنى، و هذا ما يشكو منه كل من زاول الكتابة العلمية أو الاجتماعية. للكلمات العربية معان عديدة، و معان غير واضحة. و العلم يتطلب التحديد. خذ مثلا لفظة "درس" في القاموس و اعتبر معناها المحدد في العامية. "عرف" معناها عرف، و لكن افتحها في القاموس. قد تقول هذا غنى في اللغة، و اقتصار العامية

---

(1) محمود السعران: علم اللغة، ص ص 291، 293.
(2) م. س، ص ص 302، 303.

على معنى واحد فقر و انحطاط. أما نحن فنخالفك الرأي و نعتقد أن هذا من دلائل الحياة. الحياة لا تقبل الغموض و الإبهام، و لا تتحمل الأحاجي و البهلوانيات. الحياة تتطلب البساطة و الوضوح و الحياة تهمل ما قد مات.

و دليلنا على أن العامية لغة حية نامية، متطورة، حرصها على إهمال (أو إماتة) ما يجب أن يهمل، و اقتباس ما يجب أن يقتبس و تحديد ما يجب أن يحدد في معناه. فهي من هذه الناحية تساير الحياة. فإنه في زمن كان الناس فيه يتلهون ببهلوانيات اللغة كان للأسد أسماء عديدة، و للناقة أيضا، و كان للداهية أسماء عديدة و عديدة جدا حتى قيل: أسماء الدواهي!.

أما في العامية للأسد و الناقة و السيف و العسل كلمة واحدة.[1]

و العامية تقتبس حيث لا معدى عن الاقتباس و ذلك لتحررها من القيود و لانعتاقها من وطأة التقليد، و لإفلاتها من تحكم المجامع اللغوية. فقد ارتأت أن تأخذ لفظ التلفون كما هو في باقي لغات العالم و لم تقبل بالمصطلح الذي وضعه مجمع فؤاد الأول للغة العربية. و قد اشتقت من الاسم فعلا، فيقولون "تلفن" و من المؤكد أن لا مجامع للغة في الأقطار العربية، و لا قوانين حكومة، و لا سلطة أخرى على الأرض تستطيع أن تقضي على هذه اللفظة أو أن تحل محلها لفظة هاتف أو لفظة أخرى.[2]

3) تغيير المعنى حسب ظروف صدور الكلام:

إن اللسان مثله مثل كل المؤسسات الاجتماعية يعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله و المجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع، و أساسها الصراعات و التناقضات التي تتفاعل فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة و دينامية مستمرة و متواصلة، و تلك هي صيرورة الحياة. فاللسان مؤسسة اجتماعية تتفاعل مع كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى. ينطبع بهذا التنوع و الاختلاف، و يعكس بدوره الحركة

---

(1) فريحة أنيس: م. س، ص ص 107، 108.
(2) م. س، ص 108.

الاجتماعية في تحولاتها و صراعاتها و تناقضاتها، بل قد تكون اللغة البؤرة و الحيز الذي تنصهر فيه الصراعات و التناقضات التي تحتد على الساحة الاجتماعية.(1)

و "التطور الدلالي" يحدث تدريجيا، في أغلب الأحوال، و لكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغيير كبير في المعنى. و إن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعية، أوضح في حالة "التغير الدلالي" منها في دالة "التغير الصوتي".(2)

و من هنا ارتأينا أن نتطرق أولا إلى نشأة "علم الدلالة" إذ مع أنه قمة الدراسات اللغوية، و لكنه مع ذلك، أحدثها ظهورا فقد تأخر اهتمام المحدثين من علماء اللغة بمشكلة المعنى اهتماما علميا، يضيف إلى مكان يتداوله قدماء اللغويين في هذا الشأن. لم تظهر دراسة المعنى إلى بعد أن تم تصنيف تفصيلات "التغير الصوتي" و "التقابلات الصوتية" بزمن طويل.

إن أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى هي تلك التي قام بها ميشيل برييل في كتابه: "Essai de sémantique" سنة 1897.

كانت "المبادىء" أو "الأصول" التي وصل إليها برييل في دراسته هذه مأخوذة كلها، تقريبا، من دراسة اللغات الكلاسيكية: اليونانية، و اللاتينية، و السنسكريتية. و كانت الدراسة الدلالية عنده، و بعده بفترة غير قصيرة مقصورة في الواقع على "الاشتقاق التاريخي". و يبدو أن برييل كان يرى في "الأصول" التي تحكم تغير المعنى خصائص عقلية مجردة و ذلك مثل "الحاجة إلى الوضوح"، و لكن برييل، و من خلفه إلى حين، كانوا لا يعنون العناية الواجبة بالجوانب الاجتماعية و غير الاجتماعية للظروف الإنسانية التي يحدث فيها التغير.(3)

و كان لدراسة برييل أثرها في لفت أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى، أو إلى تغير المعنى بوجه خاص، فازدادت رغبة اللغويين في محاولة إدراك الظروف الخارجية التي تعين على تغير المعنى، فأخذوا يبحثون في تاريخ الحياة الثقافية للشعوب التي يدرسون لغاتها بحثا عن الدوافع التي قد يكون من شأنها أن تدفعهم إلى تغيير معنى هذه الكلمة أو تلك.

(1) الابراهيمي خولة طالب: مبادىء في اللسانيات، ص 172.
(2) محمود السعران: م. س، ص 305.
(3) م. س، ص ص 317، 318.

و من ذلك أن منهم من أخذ يدرس دلالات مجموعات من الكلمات لمترابطة التي تستعمل في ميدان من الميادين، ككلمات هذه اللغة أو تلك المستعملة في "الأخلاق" مثلا، أو في هذه الصناعة، أو تلك الخ. و قد ثبت أن مثل هذه الدراسة توضح كيف تداخل الكلمات، و تكرارها، و غيابها، تسبب اتساع بعض الكلمات معنى، و ضيق غيرها، و اختفاء سوى هذين النوعين، كما ثبت أن هذه الدراسة لمجموعة المفردات المستعملة في مجال من المجالات خير أو أكثر توضيحا من دراسة تاريخ كلمات مفردة مفصولة فصلا صناعيا عن سائر الكلمات التي تصحب استعمالها، أو التي تطورت عنها، أو صارت إليها، أي مفصولة عن الكلمات المترابطة بها استعمالا و تاريخا.[1]

و بما أن اللغة نشاط مؤسس اجتماعيا، فهو بهذا الاعتبار ليس كيانا موحدا بل يعرف أيضا التنوع من طبعته و جزء من كيانه و ينظم هذا التنوع في المجتمع على محورين.

الأول هو محور الزمان و المكان حيث أن مختلف لغات العالم تعرف التنوع اللهجي الذي تتداخل فيه العوامل الاجتماعية بالتاريخية و الجغرافية و غيرها فتجد مثلا في الفضاء العربي اختلاف اللهجات من الخليج إلى المحيط فلو أخذنا على المستوى الصوتي تنوع التأدية بالنسبة لحرف القاف "ق" الذي يمكن أن ينطق قافا و ءافا و كافا، إذا تتبعنا توزيع هذه التأدية نجد أن النطق بالقاف همزة تختص بها بعض الحواضر الكبيرة و العريقة في الحضارة العربية الإسلامية و هي من الغرب إلى الشرق فاس و تلمسان و القاهرة و بيروت و دمشق.

أما المحور الثاني فهو محور التنوع الاجتماعي، يساير انتظام المجتمعات البشرية في مستويات و طبقات اجتماعية، يناسب هذا التوزيع الاجتماعي توزيع لغوي حيث أن هذه الطبقات تتميز باستعمالات لغوية تسمى عند أهل الاصطلاح أي من عرف علم الاجتماع اللغوي المستويات أو السجلات اللغوية.[2]

و الكلمة هي أداة المعنى، أو هي أصغر وحدة من وحدات المعنى التي تتكون منها الوحدات الأخرى كالعبارة و الجملة و الكلمة –و هي فوق هذا و ذاك– تتمتع بقوة سحرية

---

[1] م. س، ص 319.

[2] طالب الابراهيمي خولة: م. س، ص 173.

خارقة، و تؤثر في نفوسنا، و تعدل من سلوكنا بسبب ما ارتبطت به من صبغة قومية، و ما اكتسبته من منزلة اجتماعية تقليدية.[1]

و من أنواع التغير الدلالي ما يلي:

1- التغير الانحطاطي أو "الخافض":

هذا النوع من التغير في المعنى يصدق على لكلمات التي كانت دلالاتها تعد في نظر الجماعة "نبيلة" "رفيعة" "قوية" نسبيا ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبح لها ارتباطات تزدريها الجماعة. و قد لوحظ أن أكثر الكلمات التي تميل إلى أن تنحط دلالة هي على وجه خاص تلك الدائرة حول الجنس و ما يتصل به، و حول الزهو الطبقي، و حول ما يثير في الجماعة الكلامية مشاعر كالخجل –كأسماء قطع الملابس الداخلية– و الخوف، و الذعر، الخ، و حول "الألقاب"، و حول ما يثير بطبيعته اشمئزازا أو نفورا.[2]

2- التغير المتسامي:

يتضح من اسم هذا النوع أنه يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معان "هينة" أو "وضعية" أو "ضعيفة" نسبيا، ثم صارت تدل في نظر الجماعة الكلامية على معان "أرفع" أو "أشرف" أو "أقوى"، الخ، و من أشهر الأمثلة الموضحة لهذا النوع ما يتعلق بالمستويات الاجتماعية، و الفوارق الطبقية.

3- التغير نحو التخصيص: أو "تخصيص المعنى"

كثيرا ما يحدث في اللغات جميعا أن تخصص ألفاظا كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، و هكذا يضيق مجال "الأفراد" الذي كانت تصدق عليه أولا.[3]

4- التغير نحو التعميم أو "تعميم المعنى":

إن تعميم المعنى ضد تخصيصه: فكما رأينا الكلمة التي كانت تدل على أفراد كثيرين ينحصر معناها فتدل على فرد واحد منها مثلا، فكذلك يطرأ على الكلمات التغير

---

[1] ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص 2.
[2] محمود السعران: م. س، ص ص 305، 306.
[3] م. س، ص ص 307، 308.

المضاد فتستعمل الكلمة التي كانت تدل على فرد مثلا للدلالة على أفراد كثيرين أو على "طبقة" بأسرها.(1)

5- التحول نحو المعاني المضادة:

من الملاحظات الصادقة على أكثر اللغات، إن لم يكن عليها جميعا، استعمال كلمة للدلالة على معنى معين، و استعمالها في نفس الوقت للدلالة على ضد هذا المعنى، و قد درس لغويو العربية هذا الجانب في جوانب مفردات لغتنا، و لهم في "الأضداد" كتب كثيرة و من ذلك كلمة "الجون" تطلق على الأسود و على الأبيض جميعا. و لو أن استعمال هذه الكلمة في عصرنا آخذ في القلة و يكاد أن يكون محدودا بالشعر و بأنواع من النصوص الأدبية.

و كلمة "الضد" نفسها تدل على "المخالف" و تدل على "النظير" و قد عبر جوست ترايرJost Trier"، العالم الألماني، تعبيرا دقيقا عن هذه الحقيقة بقوله: "كل كلمة تلفظ تثير معناها المضاد".(2)

عدا هذا فإن من مظاهر التغير الدلالي ما يكشف لنا عن ماضينا الثقافي، و ذلك أنه يلاحظ عند أصحاب اللغات المختلفة ميل قوي إلى إطلاق بعض الكلمات المأثورة للدلالة على مسميات جديدة لم يكن لهل أي وجود فيما مضى؛ و ذلك كأسماء المخترعات خاصة، فأكثر أصحاب اللغات يطلقون على الآلة المخترعة في حالات كثيرة، اسما من كلامهم المألوف الذي كان مستعملا قبل ظهور هذا الاختراع، و هذا الاسم يكتسب بهذا معنى جديدا لم يكن له، و قد ينسخ هذا المعنى الجديد المعنى القديم، في معظم الأحوال.

ٔن السبب المباشر في هذا النوع من التغير الدلالي هو التغيرات العارضة في العالم الخارجي، لا تغيرات أو عوامل نفسية داخلية؛ و لكن على الرغم من ذلك يظل للعوامل النفسية أثرها، فمرد استعمال الكلمات القديمة، هذا الاستعمال، إلى "نزعة المحافظة" و الإبقاء على القديم، و هكذا يلاحظ أن كثيرا من المفردات "التكنولوجية" في معظم اللغات مفردات قديمة تغيرت معانيها. و نحن نقول "أقلعت السفينة" و هذا الفعل من "القلع" بمعنى "الشراع" (أي نشرت شراعها أو سارت) و السفينة الآن لا "قلع" لها بل تسير بالبخار.

(1) م. س، ص 309.
(2) م. س، ص ص 310، 311.

و هكذا فالاشتقاق اليسير في كلمات كثيرة يعيننا على العودة، عن طريق التغير الدلالي، إلى العصور الغابرة؛ فإن كثير من الكلمات في كل لغة تحفظ آثارا من الحياة القديمة في هذا الجانب أو ذاك من جوانبها.[1]

4) المعنى المعجمي لأهم الألفاظ المميزة للهجة سيدي بلعباس:

1) لياس:

و هي كلمة تأتي غالبا في اللفظة (نقطع لياس) و تعني أنه لا جدوى من الانتظار من هنا و صاعدا و هي مأخوذة من كلمة اليأس حيث حذفت ألف و لام التعريف و أبدلت باللام المكسورة لالتقائها مع الياء.

و اليأس في المعجم بمعنى :

القنوط: و قيل نقيض الرجاء، ففي حديث أو مبعد : لا يأس من طول، أي أنه لا يؤيس من طوله لأنه كان إلى الطول أقرب منه إلى القصر. فاليأس إذا ضد الرجاء، و هو في الحديث اسم نكرة مفتوح بلا النافية.[2]

مثال على هذا:

"**يا الزينة قولي لي واه ولا لالا ولا قطعيني لياس**"

2) الطايلة:

و هي بمعنيين في اللهجة العباسية، فتعني أولا أن الشيء فاسد خاصة إذا كان من المواد الغذائية أي أنه مر عليه زمن طويل و فات وقت استهلاكه أما المعنى الثاني الذي في الأغنية : اطيل الطايلة فتعني أنه مهما مر الزمن.

[1] م. س، ص 314،.....، 316.

[2] ابن منظور: لسان العرب، المجلد، 6 رقم 4056، ص 259 .

و لقد وجدنا في المعجم:

طال الشيء: كان أو صار طويلا

الطيلة: العمر – مدى الدهر و هي الأقرب في المعنى إلى المعنى اللهجي

و الطيل: الطول : أي مدى الدهر.[1]

مثال على هذا:

"**اطيل الطايلة و تحمى القايلة و تعودي لي بكاية**"

3) صاب:

و هي في لهجة سيدي بلعباس بمعنى وجد الشيء كقولهم: (نصيبك في الدار) أي أجدك في المنزل.

و هي في المعنى المعجمي بمعنى:

* صاب السهم الهدف: أصابه
* صاب المطر: هطل، نزل
* صاب الشيء: انحدر من مكان عال
* أصاب الشيء: أدركه [2]

و ربما يكون المعنى الأخير أقرب إلى المعنى العامي و حذفت الهمزة الابتدائية من الفعل أصاب.

مثال على هذا قولهم:

"**وين انصيبك يا زهري وين**"

"**وين انصيبك يا غزالي**"

"**جاب الطلبة و جا يفتح صاب الشيرة اداوها**"

---

(1) معجم الرائد.

(2) نفسه.

4) الهدرة:

و تعني في لهجة سيدي بلعباس الكلام أو الحديث إذ يقولون (راني نهدر) بتفخيم الدال أي أنا أتكلم.

و من بين المعاني الموجودة في المعجم و التي نراها أقرب إلى المعنى العامي في اللهجة نجد:

هدر البعير يهدر هدرا و هديرا و هدورا : صوت في غير شقشقة، و كذلك الحمام يهدر.

الجوهري: هدر البعير هديرا: أي ردد صوته في حنجرته، و في الحديث : هدرت فأطنبت؛ الهدير تردد صوت البعير في حنجرته.

و في المثل: كالمهدر في العنة: يضرب مثلا للرجل يصيح و يجلب و ليس وراء ذلك شيء كالبعير الذي يحبس في الحظيرة و يمنع من الضراب و هو يهدر.

الأصمعي: هدر الغلام و هدل إذا صوت

أبو السميدع: هدر الغلام إذا أراغ الكلام و هو صغير.[1]

و مثال على هذا قولهم :

"و اعلاش قالو فيك الهدرة"

5) الشيرة:

تعني هذه الكلمة في لهجة سيدي بلعباس البنت كقولهم مثلا هذه (الشيرة) أي هذه البنت و يقولون للولد (الشير).

و في المعنى المعجمي نجد :

الشير: الجميل / و الشورة: الجمال الرائع:، و الشورة الخجلة.[2]

الشير: جمع شوراء: 1. الجميل 2. الوزير 3. المشاور 4. من الشعر: الحسن.[3]

و يقولون أيضا:

---

(1) ابن منظور: م. س، المجلد، 5 رقم 3301 ص 257.

(2) م. س، المجلد 4 رقم 2985 ص 437.

(3) الرائد.

"**جاب الطلبة و جا يفتح صاب الشيرة اداوها**"

6) قينوني:

و هي في لهجة سيدي بلعباس بمعنى اتركوني في حالي أو ابتعدوا عني. أما في المعنى المعجمي فلقد عثرنا على ما يلي:

قين المرأة : زينها

القين: 1) مصدر قان 2) العبد جمع قيان 3) جمع قيون و أقيان: الحداد 4) الصانع. معجم الرائد.

و يقولون في هذا أيضا:

"**قينوني خلوني ترانكيل**"

7) زغيدة:

و تعني هذه الكلمة في عامية سيدي بلعباس البنت أو المرأة الخفيفة الروح، الجميلة، و الخفيفة في حركاتها. أما في المعنى المعجمي فلقد عثرنا على:

الزغد: من الهدير الذي لا يكاد ينقطع، و قيل هو الشديد.

و نهر زغاد: كثير الماء، و قد زغد، و زخر و زغر بمعنى واحد.[1]

و مثال على هذا:

"**يا زغيدة ديري لاتاي**"

8) دار:

بترقيق الدال و هي تعني في لهجة بلعباس فعل كقولهم (دير الكرسي في بلاصته) أي قم برد الكرسي إلى مكانه و للتوضيح أكثر هي بمعنى القيام بالفعل. أما المعنى المعجمي فقد وجدنا في بحثنا:

دار: يدور دورا و دورانا : بتفخيم الدال

1) بالشيء أو عليه أو حوله: طاف حوله

[1] ابن منظور: م. س، المجلد 3 رقم 2238 ص 194.

2) الشيء: تحرك بشكل دائرة
3) الدهر: انقلب من حال إلى حال."[1]

و يقولون أيضا:

"ديرو قبري حدا قبرها و اللي يزورني يزوره"
"يا زغيدة ديري لاتاي ها هو خيك جاي"
"في غيبتي درتي رايك"
"لوكان جات عليا ما ندير الزقى"

9) الولف :

وهو في لهجة سيدي بلعباس بمعنى التعود على الشيء أو على شخص ما كقولهم (والفتك ما قدرتش نصبر عليك) بمعنى تعودت عليك و لم أقدر على فراقك. أما في المعجم فلقد وجدنا :

ولف: الولف و الولاف و الوليف: ضرب من العدو، و هو أن تقع القوائم معا، و كذلك أن تجيء القوائم معا.

توالف الشيء موالفة و ولافا، نادر ائتلف بعضه إلى بعض و ليس من لفظه.[2]

هذا الأخير هو الأقرب إلى المعنى العامي في لهجة سيدي بلعباس.

و يقولون فيه أيضا:

"ياك قلوبنا كانت صافية و نار الولف لاهبة"

10) الزهر:

و هي كلمة متداولة جدا في عامية سيدي بلعباس و معناها الحظ فمن (عنده الزهر) كان الحظ دائما معه و (اللي ماعنده زهر) فسوء الحظ يتبعه دائما كقولهم (انت دايما مزهر) أي لك الحظ في كل شيء تقوم به. أما المعجم فقد دلنا على المعاني التالية:
زهر: الزهرة: نور النبات: و الجمع زهر، و خص بعضهم به الأبيض.

---

(1) معجم الرائد.
(2) ابن منظور: م. س، المجلد 9 رقم 5920 ص 364.

و الزهرة: الحسن و البياض، و قد زهر زهرا. و الزاهر و الأزهر: الحسن الأبيض من الرجال، و قيل: هو الأبيض فيه حمرة. و رجل أزهر أي أبيض مشرق الوجه. و الأزهر: الأبيض المستنير.[1]

و يقولون في هذه الكلمة أيضا:

"وين انصيبك يا زهري وين　　و نوصل لفاطمة مدبالة العينين"

"أنا ما عندي زهر　　اصبر يا قلبي اصبر"

"الدنيا غدارة ما فيها زهر"

"باغي نخمم في زهري وين"

11) يحوس :

و تعني هذه الكلمة في لهجة سيدي بلعباس يبحث: فهم يقولون (نحوس عليك) بمعنى أبحث عليك. و تحني أيضا أتجول أو أتنزه فيقولون (كنت في البلاد نحوس) أي ذهبت إلى وسط المدينة كي أتنزه. أما عن المعنى المعجمي فقد وجدنا :

حوس: حاسه حوسا: كحساه. و الحوس: انتشار الغارة و القتل و التحرك في ذلك و قيل هو الضرب في الحرب، و المعاني مقتربة.

أصل الحوس: شدة الاختلاط و مداركة الضرب.

التحوس: التشجع. و التحوس: الإقامة مع إرادة السفر كأنه يريد سفرا و لا يتهيأ له لاشتغاله بشيء بعد شيء:

و الأحوس أيضا: الذي لا يبرح مكانه أو ينال حاجته.

الحواس: الذي ينادي في الحرب يا فلان يا فلان.[2]

و يقولون مثلا على ذلك :

"يبقى مشوق و يحوس على النجاة"

12) لارقة:

---

(1) ابن منظور: م. س، المجلد 4 رقم 2897 ص 331.

(2) م. س، المجلد 6 رقم 3678 ص 59.

بتفخيم القاف و هي مأخوذة من الفعل الفرنسي (LARGUER) و هي في الغالب تطلق على المرأة السيئة الخلق و السيئة السمعة.

فهم يقولون مثلا:

"الريح و الظلمة و أنت هايمة لارقة"

13) كحلة:

و تعني هذه الكلمة في لهجة سيدي بلعباس سوداء، فعندما نسمعهم يقولون (هذا كحل) فيعنون أن هذا الشخص أسود اللون. أما عن المعجم فقد وجدنا:

كحل: الكحل: ما يكتحل به. قال ابن سيده: الكحل ما وضع في العين يشتفى به.

الأزهري: الكحل مصدر الأكحل و الكحلاء من الرجال و النساء، قال ابن سيده: و الكحل في العين أن يعلو منابت الأسفار سواد مثل الكحل من غير كحل.

و قيل: الكحل في العين أن تسود مواضع الكحل، و قيل الكحلاء الشديدة السواد، و قيل: هي التي تراها كأنها مكحولة و إن لم تكحل.

و الكحلاء من النعاج: البيضاء السوداء العينين.

و الكحلاء: عشبة روضية سوداء اللون ذات ورق و قضب، و لها بطون حمر و عرق أحمر ينبت بنجد في أحوية الرمل.[1]

و يقولون في ذلك مثلا:

"سبابي لبنية كحلة الأنظار"

"كي راني ولا مهموم على ديك كحلة لعيون"

14) مدبالة:

و تعني هذه الكلمة في لهجة سيدي بلعباس،و عندما تطلق على النبتة،أنها فقدت حيويتها و جمالها و ذبلت لنقص الماء فيها أما عندما نسمع (مدبالة العينين) فهي بالعكس صفة جمالية يصفون بها العينين الناعستين و الخاليتين من أي نظرة قبح أو حيلة.

أما عن المعجم فقد وجدنا:

---

(1) ابن منظور: م. س، المجلد 11 رقم 7221 ص 584.

ذبل: ذبل النبات و الغصن و الإنسان يذبل ذبلا و ذبولا: دق بعد الري، فهو ذابل، و يقال ذبل: إذا جف و يبس ريقه و أذبله الحر.

و في حديث عمرو بن مسعود: قال لمعاوية و قد كبر: ما تسأل عمن ذبلت بشرته أي قل ماء جلده و ذهبت نضارته.[1]

و يقولون في ذلك أيضا:

"**توصل لفاطمة مدبالة العينين**"

"**يا دبايلي و يا محايني و على ميمونة**"

"**يا دبايلي و على زبانة**"

15) محير:

و تعني هذه الكلمة أنني محتار في أمري و لا أعرف ما العمل، و يقولون أيضا (راني محير عليك) أي بمعنى أنني قلق عليك و على أحوالك. و للسهولة في النطق و بذل أدنى جهد عضلي حذفت التاء و الألف و أبدلت بالياء المشددة.

أما عن المعنى المعجمي فقد وجدنا:

حير: حار بصره يحار حيرة و حيرا و حيرانا و تحير إذا نظر إلى الشيء فعشى بصره. و تحير و استحار و حار: لم يهتد لسبيله. و حار يحار حيرة و حيرا أي تحير في أمره. و رجل حائر إذا لم يتجه لشيء. و في حديث عمر، رضي الله عنه: الرجال ثلاثة، فرجل حائر بائر أي متحير في أمره لا يدري كيف يهتدي فيه. و هو حائر و حيران. و الأنثى حيرى.

و حكى اللحياني: لا تفعل ذلك أمك حيرى أي متحيرة.

قال أبو حنيفة: من مطمئنات الأرض الحائر، و هو المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف، و جمعه حيرانو حوران.

تحير الماء في الغيم: اجتمع، و تحيرت الأرض بالماء إذا امتلأت.[2]

و مثال على ذلك قولهم:

---

(1) ابن منظور: م. س، المجلد11 رقم 6863 ص 255.

(2) ابن منظور: م. س، المجلد 4 رقم 2783 ص 222.

مقواني حيران

"**عقلي محير عليك يا بنت فلان**"

"**راني محير يا ناس ما فاد صبر**"

16) تقصر:

و تنطق بتفخيم القاف أي كالجيم القاهرية، و لها معنيين في لهجة سيدي بلعباس. الأول قولهم: (بايت مقصر مع صحابي) بمعنى سهرت الليل مع أصدقائي: أما المعنى الثاني فقولهم مثلا (ما تزعفش راني نقصر معاك) بمعنى لا تغضب فأنا أمزح معك فقط و هناك معنى ثالث و هو قولهم (راني نقصر عليك) أي أنا أستهزيء بك.

أما عن المعنى المعجمي فلقد وجدنا:

في حديث عمر، رضي الله عنه: فإذا هم ركب قد قصر بهم الليل أي حبسهم. و في حديث ابن عباس: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى، أي حبسوا أو منعوا عن نكاح أكثر من أربعة.

ابن السكيت: أقصر عن الشيء إذا نزع عنه و هو يقدر عليه، و قصر عنه إذا عجز عنه و لم يستطعه، و ربما جاءا بمعنى واحد إلا أن الأغلب عليه الأول.

و الإقصار الكف عن الشيء. و أقصرت عن الشيء: كففت و نزعت مع القدرة عليه، فإن عجزت عنه قلت: قصرت، بلا ألف. و قصرت عن الشيء قصورا: عجزت عنه و لم أبلغه.

و المعنى الذي ارتأيناه الأقرب إلى ما هو متداول في لهجة سيدي بلعباس هو: المقصر و المقصرة: العشي.

و قصرنا و أقصرنا قصرا: دخلنا في قصر العشي، كما تقوا أمسينا من المساء. و قصر العشي يقصر قصورا إذا أمسيت. و جاء فلان مقصرا حين قصر العشاء أي كاد يدنو من الليل.

ابن الأعرابي: القصر و القصار الكسل. و قال أعرابي: أردت أن آتيك فمنعني القصار.[1]

---

[1] ابن منظور: م. س، المجلد 5 رقم 3172 ص 95.

و يقولون في هذه الكلمة مثلا:

"**شمعة وحدة ما تقصر ستة سبعة يصبحو**"

17) بايت:

و تعني في لهجة سيدي بلعباس قضي الليل أو نام حين يقولون مثلا (كنت بايت عند صاحبي) بمعنى أنني نمت أو قضيت الليل في منزل صديقي. كما يقولون أيضا (باتت فيك) أي أنك في ورطة.

أما عن المعجم فقد وجدنا:

الصحاح: بات يبيت و يبات بيتوتة. ابن سيده: بات يفعل كذا أو كذا يبيت و يبات بيتا و بياتا و مبيتا و بيتوتة أي ظل يفعله ليلا، و ليس من النوم، كما يقال: ظل يفعل كذا إذا فعله بالنهار.

و قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم.

الفراء: بات الرجل إذا سهر الليل كله في طاعة الله، أو معصيته.

و بيت الأمر: عمله ليلا، أو دبره ليلا.و بيت القوم و العدو: أوقع بهم ليلا، و بيت العدو: هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة، و هو البيات.[2]

18) تهلي:

تعني هذه الكلمة في قولهم (تهلي فيه) خذي بالك منه و عامليه أحسن معاملة.

أما عن المعنى المعجمي فقد وجدنا:

تهلل: تهلل السحاب بالبرق: تلألأ. و تهلل وجهه فرحا: أشرق و استهل. و في حديث فاطمة، عليها السلام: فلما رآها استبشر و تهلل وجهه أي استنار و ظهرت عليه أمارات السرور.

و اهتل كتهلل، و ما جاء بهلة و لا بلة، و الهلة: من الفرح و الاستهلال، و البلة: أدنى بلل من الخير.[1]

---

(2) ابن منظور: م. س، المجلد 2 رقم 842 ص 14.

(1) ابن منظور: م. س، المجلد 11 رقم 7345 ص 701.

و مثل على هذا قولهم:

"انتيا بغيتيه يا طفلة تهلي فيه"

19) مشحر:

و هي صفة يلقونها على الشاي عندما يكون مصنوعا بطريقة جيدة فيكـون لونـه قاتما و ذوقه قويا إلى درجة تجعد اللسان و الشفتين حين تناوله.

أما عن المعجم فكل ما وجدنا هو :

شحر: شحر فاه شحرا: فتحه، و الشحر: ساحل اليمن.

ابن الأعرابي: الشحرة: الشط الضيق، و الشحر الشط.[2]

و هذا المعنى بعيد كل البعد عن المعنى المتداول في لهجة سيدي بلعباس.

و مثال عن هذا قولهم:

"آتاي يكون مشحر و يكون معطر بالنعناع و العمبر"

20) الحمان:

و هو الجو الحار في لهجة سيدي بلعباس. أما في المعجم فقد وجدنا المعاني التالية: في الحديث: و قدر القوم حامية تفور أي حارة تغلي. و حمي الفرس حمى: سخن و عرق يحمى حميا.

و أحمى الحديدة و غيرها في النار: أسخنها، و لا يقال حميتها.[3]

و يقولون في هذا:

"اطيل الطايلة و تحمى القايلة و تعودي لي بكاية"

21) نزعف:

و هي أغضب في المعنى العامي و يقولون أيضا (الزعاف) بمعنى الغضب أما في المعجم فقد وجدنا:

[2] م.س، المجلد 4 رقم 2947 ص 398.

[3] م. س، المجلد 14 رقم 8933 ص 197.

زعف: موت زعاف: شديد. و زعفه يزعفه زعفا و أزعفه: رماه أو ضربه فمات مكانه سريعا.

و سم زعاف: القاتل من السم

و سيف مزعف: لا يطني. و كان عبد الله بن سبرة أحد الفتاك في الإسلام، و كان له سيف سماه المزعف.

و الزعوف: المهالك. و زعف في الحديث: زاد عليه أو كذب فيه.[1]

و يقولون في هذه الكلمة أيضا:

"**خلو البحر ياكلني ولا زعافهم**"

22) سقسي:

و هي في لهجة سيدي بلعباس بمعنى أسأل إذ يقولون (باغي نسقسيك على هذا الحاجة) أي أريد أن أسألك عن هذا الشيء أو الأمر.

و لم نجد في المعجم أثر لهذه الكلمة.

فيقولون أيضا:

"**سقسي و جرب تكذبني هذا محال**"

23) خودة:

و يصفون بها المرأة الجميلة في لهجة سيدي بلعباس و هي كلمة فصيحة إذ وجدنا في المعجم:

الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا، و قيل الجارية الناعمة، و الجمع خودات و خود، بضم الخاء.[2]

و مثال على ذلك قولهم:

"**انتيا بغيتيه يا خودة تهلي فيه**"

(1) ابن منظور: م. س، المجلد 9 رقم 5670 ص 134.

(2) م. س، المجلد 3 رقم 2206 ص 165.

24) زغيدة:

و هي في لهجة سيدي بلعباس صفة أخرى توصف بها المرأة لتدليلها.

أما عن المعجم فقد وجدنا:

زغد: زغد سقاءه يزغده زغدا إذا عصره حتى تخرج الزبدة من فمه و قد تضايق بها، و كذلك العكة، و الزبد زغيد. و زغده أي عصر حلقه. و يقال للزبدة: الزغيدة و النهيدة. و نهر زغاد: كثير الماء، و قد زغد و زخر و زغر بمعنى واحد.[1]

و يقولون مثلا على هذا:

"يا زغيدة ديري لاتاي ها هو خيك جاي"

25) طفرت:

و هي كلمة تقال غالبا عندما لا تبقى باليد حيلة أو عند فوات الأوان فيقولون (صايي طفرت ما نقد ندير والو دروك) بمعنى أن ما كان غير متوقع قد جرى و فات الأوان لتغيير الموقف.

أما في المعجم فقد وجدنا المعاني التالية:

طفر: الطفر: وثبة في ارتفاع كما يطفر الإنسان حائطا أي يثبه. و الطفرة: الوثبة، و قد طفر يطفر طفرا و طفورا: وثب في ارتفاع. و طفر الحائط: وثبه إلى ما وراءه. و الطفرة من اللبن: كالطثرة، و هو أن يكثف أعلاه و يرق أسفله و قد طفر.[2]

و يقولون في ذلك مثلا:

"طفرت اليوم جوني مار من خيرة بركاني"

---

[1] ابن منظور: م. س، المجلد 3 رقم 2238 ص 194.

[2] م.س، المجلد 4 رقم 3041 ص 501.

الخاتمة

الخاتمة

إن اللغة شأنها شأن كل ظاهرة طبيعية، تنشأ و تنمو و تتغير حسب ظروف قد تكون اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية أو حتى شخصية. و مما خرجنا به كنتيجة للبحث هو أن اللهجة بصفة خاصة تسير من الصعب إلى السهل و من الخشن إلى الناعم، و من المعقد إلى الميسر، و من المزخرف إلى البسيط تتبعا لطبيعة الإنسان الذي يبحث دائما على بذل أقل جهد، عضلي كان أم فكري، للتعبير عما بداخله و لضمان اتصاله الدائم بباقي أفراد مجتمعه.

لقد تطرق بحثنا هذا إلى دراسة لهجة سيدي بلعباس كنموذجا و ذلك لأسباب موضوعية و فردية ذكرناها في بداية بحثنا، و قبل التعمق في هذه الدراسة، كان من المنطقي أن نبحث أولا في اللهجة كونها تدرس لذاتها و من أجل ذاتها، وبعدها أن تلتفت إلى علم اللهجات للتعرف على أصوله و مناهجه و علاقته بعلوم أخرى نضنها أساسية و مكملة كالأنثروبولوجيا و علم الأصوات.
و تبين لنا من خلال ذلك أنه لا بد من معرفة عامة أو شاملة لكثير من العلوم للوصول ّإلى فهم و تفسير بعض الظواهر اللهجية التي تصور لنا طبيعة الفرد كوحدة ثم كجزء لا يتجزأ من مجتمع كبير تتخلله ظروف و مظاهر، هته الأخيرة تجبره على التلاؤم و التأقلم كي يبقى دائما وسط هته الدائرة التي لا يستطيع العيش خارجها.

فبعد تعرفنا أولا على المنطقة و سكانها و ثقافتها و طبيعة عيشها، مررنا إلى الدراسة الصوتية التي بينت لنا بعد بحث طويل أن لهجة سيدي بلعباس تميل إلى الجهر و التفخيم، كون معظم سكانه من أصل بدوي يمتاز بالخشونة حيث يؤثرون الأصوات الأصوات المجهورة الشديدة ، كما تشيع عندهم ظاهرة التأثر بالأصوات المتجاورة، خلاف البيئة الحضرية التي تعمل على تحقيق الأصوات، و تحول عادة دون تأثرها بعضها ببعض في أثناء النطق، كما تميل إلى الأصوات المرققة و المهموسة، حيث لا ترى داعيا لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه السامع القريب، فهي بيئات متمدينة تتحدث بين جدران المنازل، عكس البيئات البدوية التي اعتادت على المساحات الشاسعة.

و قد وقفنا في بحثنا عن لهجة سيدي بلعباس الحالية، أنها تميل في غالب الأحيان إلى التخلص من بعض صفاتها البدوية و هذا لاستقرارها في المدينة أي البيئة المتحضرة. و هذا لا يعني غيابا كليا لصفات البداوة، و دليل على ذلك الدراسة الصوتية التي قمنا بها و التي تبين بقاء الطابع الخشن و البدوي في لهجة سيدي بلعباس.

و قد توصلنا في دراستنا المعجمية للهجة سيدي بلعباس، رغم قصور المعنى المعجمي و صعوبة تحديده، إلى حصر معاني بعض الكلمات التي تمتاز بها المنطقة لكي

نرى مدى فصاحة بعضها و بعد البعض الآخر كل البعد عن المعنى الفصيح، و كيف تتغير الدلالات حسب ظروف صدور الكلمات.

و لا يدعي الباحث أنه تناول جميع جوانب الدراسة اللهجية للمنطقة، بل إن الموضوع متفرع جدا و بحاجة إلى بحوث مكملة للقدرة على توضيح الغموض القائم حول هذا النوع من التغير اللفظي و الشكلي للهجة. و نطلب من الله أن يوفقنا لكي نواصل دراستنا في هذا المجال، و للقيام بدراسة أدق للهجة الفرد بدل المنطقة كمشروع مستقبلي لرسالتنا في الدكتوراه. و الله من وراء القصد.

ببليوغرافيا

البحث

أولا: المصادر

القرآن الكريم

1. ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ت/ علي محمد الضباع، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، الجزء الأول. دت.
2. ابن جني: سر صناعة الإعراب: ت/ حسن الهنداوي، دمشق، دار القلم 1985. دت.
3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: المقدمة (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000. دت.
4. ابن سينا: رسالة في أسباب حدوث الحروف، ت/ محمد حسن الطيان، و يحيى مير علم، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1983.
5. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الأنباء و النشر،الدار المصرية للتأليف و الترجمة،دت.
6. البعلبكي: رمزي منير: معجم المصطلحات اللغوية، بيروت، دار العلم للملايين، 1990.
7. الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر. دت.
8. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ت/ عبد الله درويش، بغداد، مطبعة العاني، 1967، الجزء الأول.
9. سيبويه: الكتاب، ت/ عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب. دت.
10. السيوطي عبد الرحمن جلال الدين: المزهر، شرح و تصحيح و عنوان و تعليق محمد أحمد جاد المولي، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل

ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي و شركاه بمصر، الطبعة الأولى. دت.

11. المنجد صلاح الدين: كتاب اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرى بإسناده إلى ابن عباس، الطبعة الثانية مصححة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1396ه – 1972م.

ثانيا: المراجع

1. الإبراهيمي خولة طالب: مباديء في اللسانيات، دار القصبة للنشر، 2000.
2. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998.
3. أحمد الأزرق:
   - النهضة الأصلية في منطقة سيدي بلعباس، منشورات المجلس الشعبي الولائي 1998.
   - الكتاتيب القرآنية في منطقة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس 2002.
4. الإدريسي أبي عبد الله الشريف: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية 1983.
5. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة و المجتمع، ت/ حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
6. أنيس إبراهيم:
   - الأصوات اللغوية: مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ط4، 1971.
   - في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط9، 1995.
7. باي ماريو: أسس علم اللغة،ت/أحمد مختار، القاهرة 1987.
8. بروكلمان كارل: فقه اللغات السامية، ت/ رمضان عبد التواب، الرياض، 1977.
9. بن مالك رشيد: السيميائية أصولها و قواعدها، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2002.
10. تمام حسن:
    - اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية، مطبعة الرسالة. دت.
    - مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء ،المغرب، 1979.
11. التيجيني بن عيسى: لهجة تلمسان و علاقتها بالفصحى، رسالة ماجستير، مخطوطة بجامعة تلمسان، 1990-1991.

12. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 6، 1965.
13. الحمزاوي محمد رشاد: العربية و الحداثة أو الفصاحة فصاحات، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1982.
14. الخولي محمد علي: معجم علم اللغة الظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
15. دي سوسير فرديناند: دروس في الألسنية العامة، ت/ صالح القرمادي و محمد الشاوش و محمد عجينة ، الدار العربية للكتاب، تونس1985.
16. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ت/ د.كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، القاهرة، 1988.
17. السعران محمود: علم اللغة: مقدمة القارىء العربي، دار الفكر العربي، القاهرة. دت.
18. شريط عبد الله: نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع و السياسة و الثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.
19. الطمار محمد: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
20. طيبي أمينة: ....
21. عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1982.
22. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر و التوزيع، ط 1، 1998.
23. عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1985.
24. فريحة أنيس: اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل بيروت ط 1 1409ه – 1989م.

25. فندريس جوزيف: اللغة، ت/ عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1950.
26. الكشو صالح: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب 1985.
27. كانتينو جان: دروس في علم الأصوات العربية: ت/ صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس، 1966.
28. مرتاض عبد الجليل:
- مقاربات أولية في علم اللهجات، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2002.
- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2003.
29. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
30. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة ط 9، الكويت، 1978.
31. نجا: التجويد و الأصوات.
32. هلال عبد الغفار حامد: علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي، شبرا، ط 2 ، 1406ه – 1986م.
33. الوزان حسن: وصف إفريقيا، ت/ محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.
34. ولفنسون (أبو دؤيب) : تنوع اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

2) مجلات و رسائل:

أ- المجلات:

1. حلام الجيلالي: الصوتيات و الأصواتيات: (دروس و مباحث) جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1997 – 1998.
2. صالح ابن عمر: دراسة إحصائية بالحاسوب الإلكتروني للجذور الواردة في (الصحاح و اللسان و التاج) مجلة المعجمية. العدد 51، 1985.
3. الكوري: كونغ الجو: نظرية علم اللسان الحديث و تطبيقها على أصوات العربية، مجلة اللسان العربي، مكتبة تنسيق التعريب، الرباط،العدد 1991/35.
4. مجاود محمد: الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830 – 1954 ، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر.
5. الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء و الأكاديميين السوفياتيين بإشراف: م. روزنتال و ب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ط 1 1974.
6. مولود قاسم: اللغة و الشخصية في حياة الأمم، الأصالة: مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، عدد خاص: التعريب. مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر 1973-1974 العدد 17-18.

ب- الرسائل:

1. ابن عون بن عتو: الجذور الثقافية لظاهرة التبرك بالأولياء في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، قسم الثقافية الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2001-2002.
2. اخصاصي عبد القادر: دراسة صوتية و دلالية في اللهجة التواتية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
3. شامي عبد الكريم: دراسة صوتية و دلالية للدخيل الاسباني في لهجة بني صاف، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
4. عزوز أحمد: الصوت و الدلالة في خطاب البشير الإبراهيمي، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران، 1991-1992.
5. مكحلي محمد: سيدي بلعباس ولي و ولاية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1999 - 2000 .
6. مويلح سليمة: (بحث) إبدال الأصوات الصامتة، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2002.

المراجع اللأجنبية

أ) بالفرنسية:

1. Adoue Léon : Sidi Bel Abbés. Légende, histoire, Anecdote 1927.
2. Bastide Léon : Sidi Bel Abbés et son arrondissement.
3. Bellat Paul et Kremar Othon-Patrick : Sidi Bel Abbés et les Bel Abbésiens, une ville française 1843-1962.
4. Bonte Pierre – Izard Michel : Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Presse Universitaire de France 1991.
5. Colleyn Jean Paul : Eléments d'anthropologie sociale et culturelle, 5ème édition – 2ème tirage edition l'université de Bruxelles (Belgique) 1990.
6. De Saussure Ferdinand : Cours de linguistique générale, 4ème édition Payot, Paris 1949.

7. Kilani Mondher: Introduction à l'anthropologie, Edition Payot Lausanne, 3ème édition revue et corrigée, réimpression 1966, France.
8. Marc Auge: Pour une anthropologie des mondes contemporains, Critiques Aubier, 1994.
9. Mounin George : Dictionnaire de la linguistique, Quadrige / Presse Universitaire de France 1974.

ب) بالإنجليزية:

2. Ember Melvin / Levinson David : Encyclopedia of Cultural Anthropology, Volume 1, A Henry Holt Reference Book, Henry Holt and Co;pany, New York, 1996.
3. Lyons John: New Horizons in Linguistics
4. Sapir Edward: Culture, Language, and Personality.
5. Smolinsky Frank: Landmarks of American Language and Linguistics, Volume 1, United States Information Agency, Washington, D.C. 20547, 1993.

الملاحق

الله يا العالي   1

نحكي لكم بيا ما صار، و نبكي الليالي مع النهار
و جرحي ما يبرى و عذابي طال

و سبابي لبنية كحلة لنظار، و اللي منها ما جاني نوم
و اليوم راني في لضرار، وين انصيبك يا زهري وين
و نوصل لفاطمة مدبالة العينين

حبيت فيك الزين و زيد العقلية
حبيت فيك الدين و لباس العربية
حبيت فيك الكلام و التبسيمة هي
حبيت فيك الأصل و نسيت الرومية

الله الله يا العالي، وين انصيبك يا غزالي
بحبك ماني هاني، ربي يهديك

و اعلاش قالوا فيك الهدرة، منك و الله ما نبرى
ترجيتك شحال من مرة، منك و الله ما جاني جواب

هذا شحال 2

هذا شحال وانا نرجى فيك، و نتمنى و نطلب ربي يهديك
قولي لي يا ختي واش اللي بيك، انت ليا وانا راني ليك
مكتوبي راه بين يديك

بمالي ما نقدر نشريك، و انت بمالك ماني طامع فيك
شاقي و كل يوم نخمم فيك، كليمة وحيدة و ما نزيد عليك
ماني مان يا ميمان، مقواني حيران (سهران)

راني نخمم عايش في لوهام، لوكان ننجى لا نعود في لندام
عقلي محير و عليك يا بنت فلان، سمعي مني نهدي لك هذا الموال

هذه الدنيا تغيرت فيها لحوال، يا ربي واش نعمل سبابي هذا الغزال، راحت ليام و كل شي عاد مال، سقسي و جرب تكدبني هذا محال.
واش يسالوني.

يا ميمونة 3

يا ميمونة ضياف ربي ، ويلا قبلو لوالدين
راهم قبلو يا بن امى ، جيبو الطلبة يفتيحو
جاب لطلبة و جا يفتح ، صاب الشيرة اداوها عطاوها

يا دبايلي، يا محايني، و على ميمونة

شمعة وحدة ما تقصر ، ستة سبعة يصبيحو
و العين اللي هولتني ، في ديك الدار ساكنة
ديرو قبري حدى قبرها ، و اللي يزورني يزورها

يا دبايلي، يا محايني، (يا ندايمي) و على ميمونة .

يا زغيدة 4

يا زغيدة ديري لاتاي، يا عوالي ديري لاتاي
ها هو خيك جاي

يا لكبيدة
يا لحنينة
يا لميمة
يا لعميرة

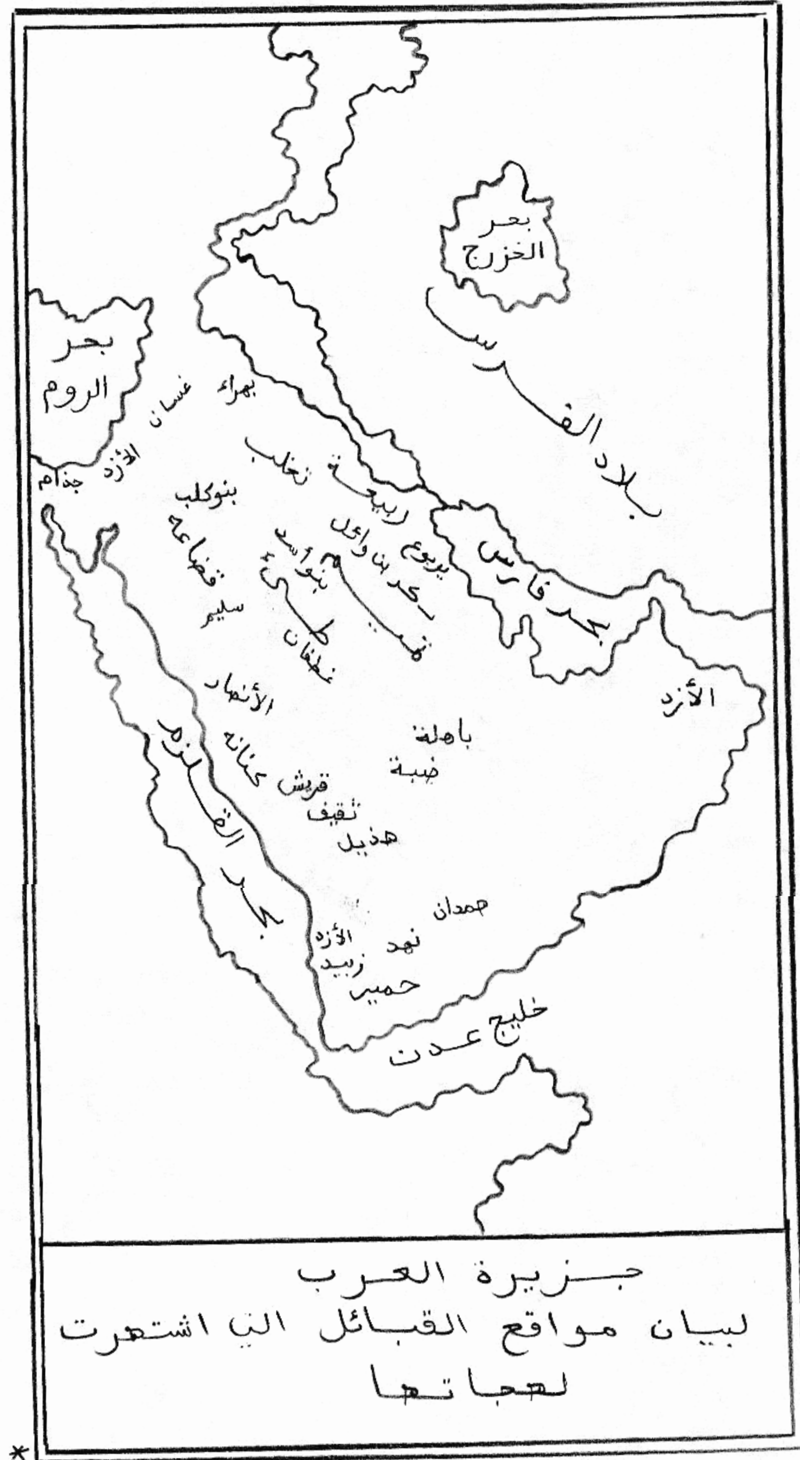
آتاي يكون مشحر، و يكون يكون معطر، بالنعناع و العنبر

و اعلاش اعلاش تخاصمنا، و بلا سبة تفرقنا، راها ليام شاهدة .

يا الزينة 5

يا الزينة ديري لاتاي مالقابصة للبراد
يا الزينة ريبي للواد و جيبي النعناع جديد
يا الزينة مانيش عليك الا خروضوني عينيك
يا الزينة قولي لي واه ولا لالا ولا قطعيني لياس
يا الزينة عينيك كبار يدخلو المحنة للدار
يا الزينة الزين الزين ساكن سيدي ياسين
يا الزينة الفن و الراي خارج من بلعباس
يا الزينة راني مهموم منك ما جاني نوم
يا الزينة قولي لباك راه القلب رضاك
يا الزينة قولي ليماك راه الحب بغاك
يا الزينة مانيش عليك راني على الروميات

كي راني ولا مهموم، على ديك كحلة لعيون، نجمة النجوم
كي راني ولا مغروم .

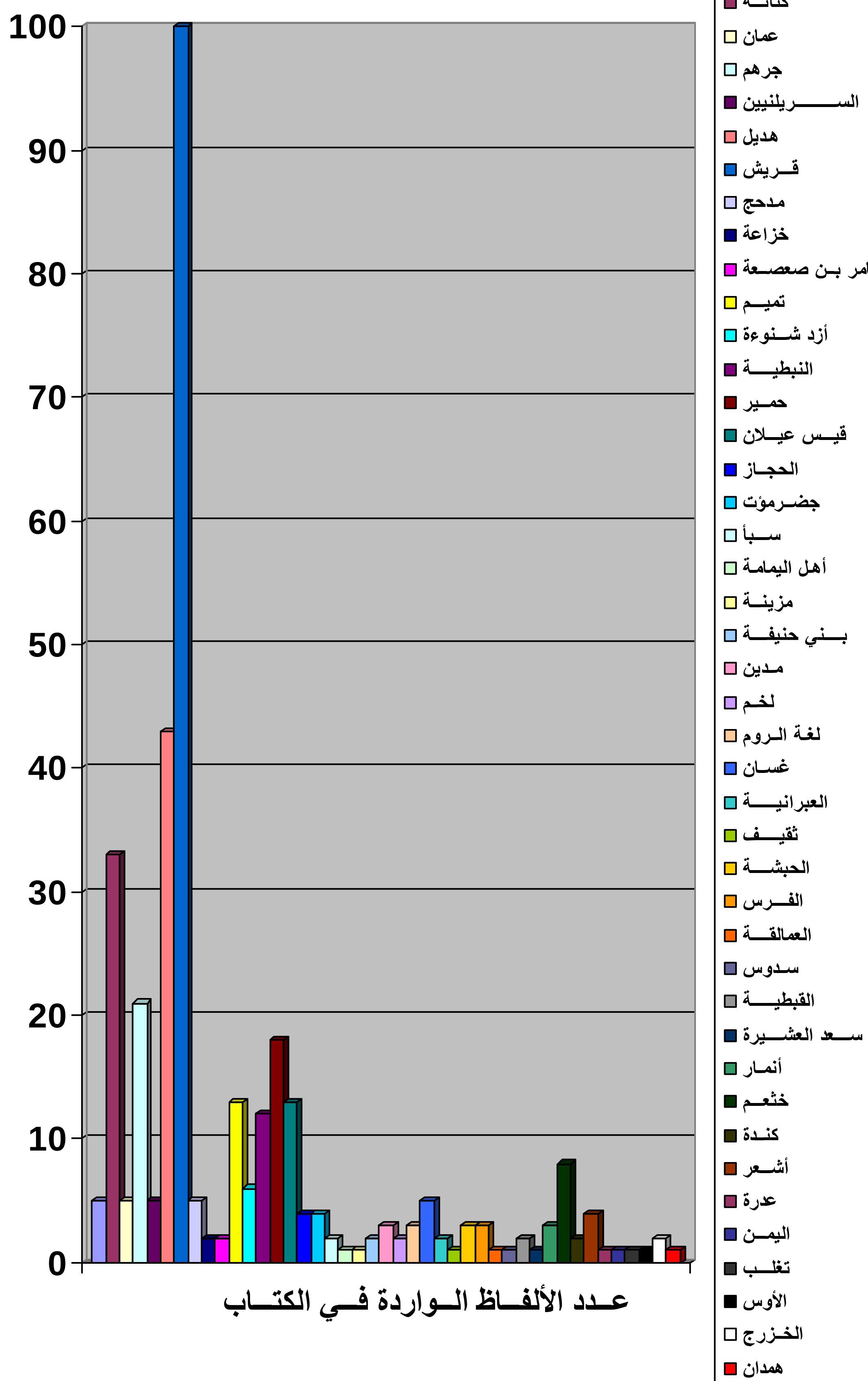


جزيرة العرب
لبيان مواقع القبائل التي اشتهرت لهجاتها *

* ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية 1995، ص 335

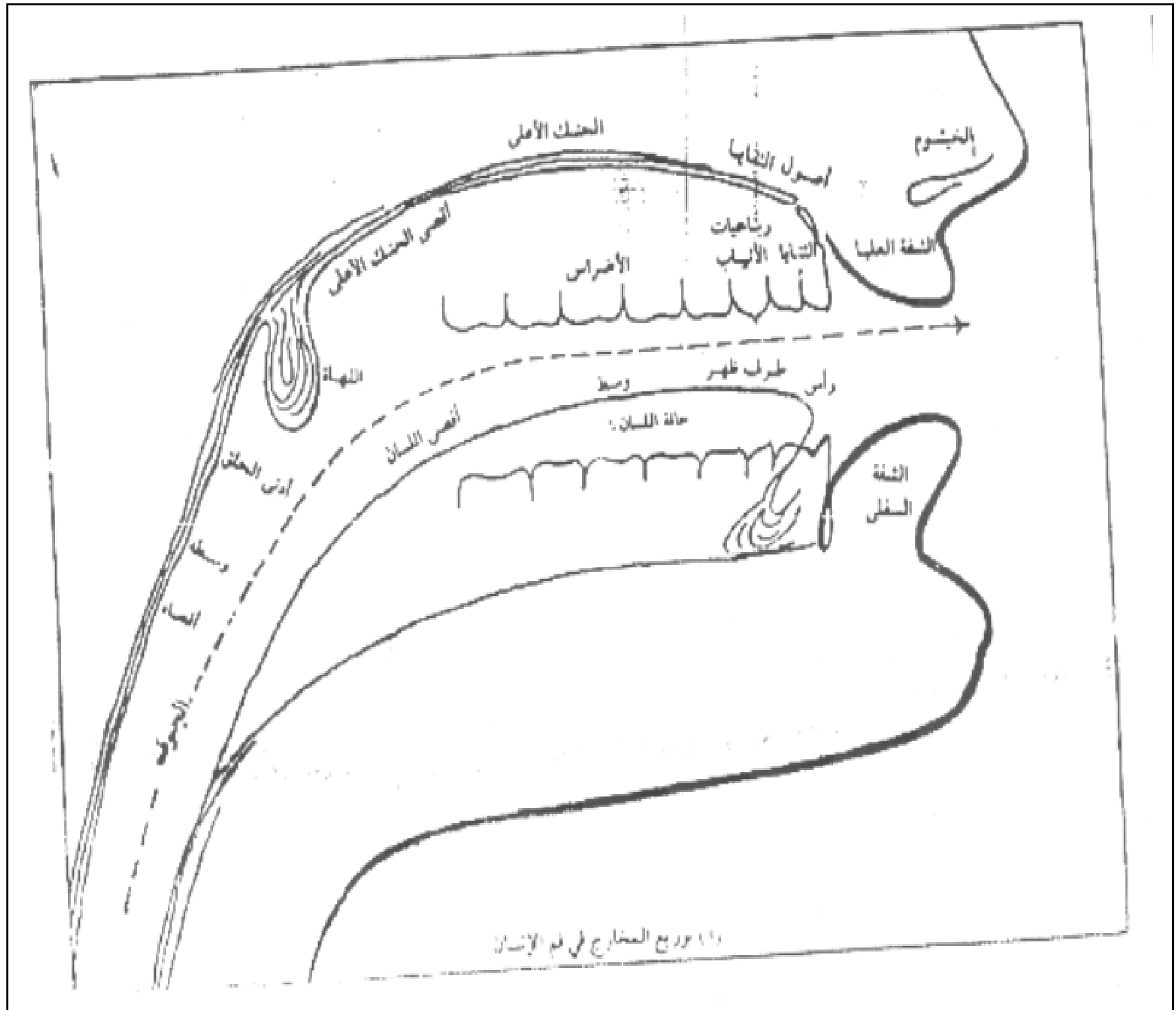
اسم القبيلة	عدد الألفاظ الواردة في الكتاب
طيء	5
كنانة	33
عمان	5
جرهم	21
السريانيين	5
هديل	43
قريش	100
مدحج	5
خزاعة	2
عامر بن صعصعة	2
تميم	13
أزد شنوءة	6
النبطية	12
حمير	18
قيس عيلان	13
الحجاز	4
حضرموت	4
سبأ	2
أهل اليمامة	1
مزينة	1
بني حنيفة	2
مدين	3
لخم	2
لغة الروم	3
غسان	5
العبرانية	2
ثقيف	1
الحبشة	3
الفرس	3
العمالقة	1
سدوس	1
القبطية	2
سعد العشيرة	1
أنمار	3
خثعم	8
كندة	2
أشعر	4
عدرة	1
اليمن	1
تغلب	1
الأوس	1
الخزرج	2
همدان	1

* جدول يبين أسماء القبائل و الألفاظ الواردة : راجع كتاب اللغات في القرآن م.س.



*مدرج

تكراري من وضعنا تابع للجدول



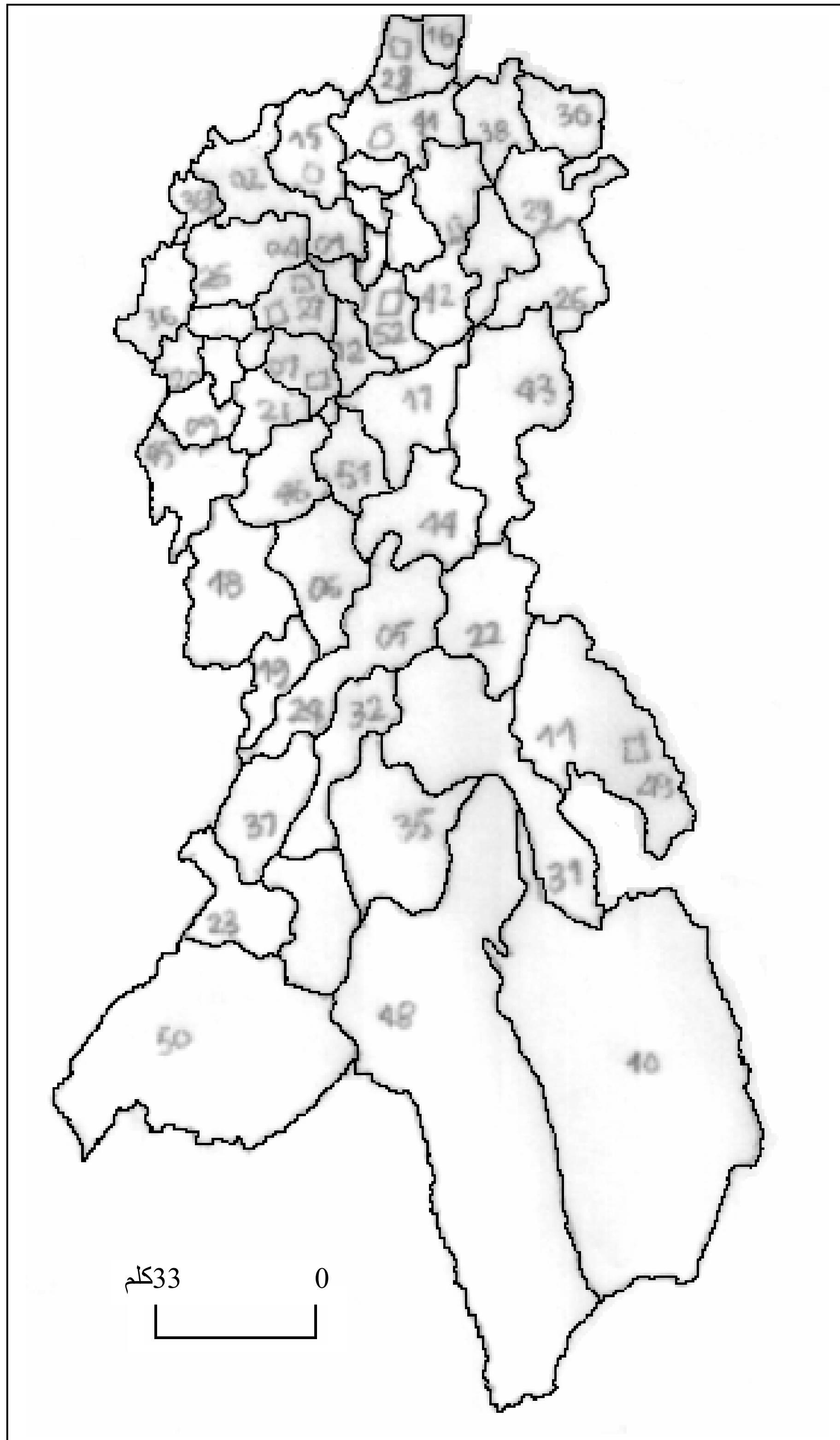
توزيع المخارج في فم الإنسان

الالفبائية الاصواتية العربية العالمية

الرقم	الرمز العربي	الرمز الأجنبي العالمي
1	ء	ʔ
2	ب	b
3	ت	t
4	ث	θ
5	ج	J
6	ح	ħ
7	خ	X
8	د	d
9	ذ	ð / θ̸
10	ر	r
11	ز	Z
12	س	s
13	ش	ʃ / ṡ
14	ص	ṣ š
15	ض	ḍ / ď
16	ط	ť
17	ظ	ð̣ / θ̌
18	ع	ʕ
19	غ	ɣ / ɣ̌
20	ف	f
21	ق	q / qw
22	ك	k
23	ل	L
24	م	m

الرقم	الرمز العربي	الرمز الاجنبي العالمي
25	ن	n
26	هـ	h
27	و	w
28	ى	y
الصوائت القصيرة والطويلة		
1	ـِـ / (ى)	i
2	ـَـ / (ا)	a
3	ـُـ / (و)	o / u
4	ـُـ+و / (وو)	ō / ū
5	ـَـ+ا / (اا)	ā
6	ـِـ+ى / (ىى)	ī
صوامت مشهورة		
1	ب̌	P
2	ف̌	V
3	ق̌	G

(جدول 4)



خريطة تبين بلديات منطقة سيدي بلعباس *

* المصدر: مكحلي محمد: م. س، ص 164.

مفتاح الخريطة:

2. سيدي بلعباس
3. تسالة
4. سيدي ابراهيم
5. مصطفى بن ابراهيم
6. تلاغ
7. مزاورو
8. بوخنفيس
9. سيدي علي بوسيدي
10. بدرابين
11. مرحوم
12. تقسور
13. العمارنة
14. تلموني
15. سيدي لحسن
16. عين تريد
17. ماكدرة
18. تنيرة
19. مولاي سليسن
20. الحصايبة
21. حاسي زهانة
22. الطابية
23. مرين
24. رأس الماء
25. عين تاندامين
26. عين قادة
27. المسيد
27. سيدي خالد
28. عين البرد
29. سفيزف
30. عين أدن
31. واد تاوريرة
32. الضاية
33. زروالة
34. لمطار
35. سيدي شعيب
36. سيدي دحو
37. واد السبع
38. بوجبهة
39. السهالة
40. سيدي
41. بعقوب
42. سيدي حمادوش
43. بلعربي
44. واد سفيون
45. تيغليمات
46. بن باديس
47. سيدي علي بن يوب
48. شطوان
49. بير الحمام
50. رجم دموش
51. بن عشية الشيلية
52. حاسي دحو

فهرس